الجمهوريــة الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبيــة
وزارة التعليــم العالي والبحث العلمــي

المركز الجامعــي العقيد أكلي محنـد أولحـاج
معهـد اللّغات والأدب العربي

قسـم اللّغة العربية

شعر الرّحلة
ابن مسايب أنموذجا

إعداد الطالبتين:
- قداش عزيزة
- بوحبيب
- مدني عائشة

إشراف:
- حميد

السنة الجامعية: 2010-2011

أولا وقبل كل شيء نشكر المولى عزّ وجلّ الذي وفقنا وألهمنا القدرة على انجاز هذا العمل المتواضع

ثم نتقدم بأسمى معاني الشكر والتقدير

لأستاذنا المشرف "حميد بوحبيب" وندعو الله أن يبارك في عمره ويجعله فخرا للعلم على وقوفه بجانبنا بإرشادنا ونصائحه وإنارته الجوانب المظلمة في هذا البحث حتى يخرج إلى النور.

فلك جزيل الشكر وخالص الامتنان وأصدق العرفان

كما نتقدم بالشكر الخالص لكل من ساعدنا ولو بكلمة تشجيع في هذا العمل.

إهداء

إلى من تحملت مشق حملي وتربيتي، مثال الحب والتضحية إلى شمس عمري ورياض حياتي ... إليك أمي.

إلى الجواد الذي علمني كيف أشق غباب الطرقات، وعلمني آن أصنع مجدي واقتحم العقبات إلى القمر الذي أنار دربي في الليالي الحالكات...

فخري وذخري... إليك أبي.

إلى من تقاسمت معهن حنان الأم ورعاية الأب إلى رياحين حياتي أخواتي: الهادئة فريال، الحنونة مديحة، وبهجة البيت شافية.

إلى شموع بيتنا المضيئة وفوانيسها الوهاجة إخوتي: عيسى، بلال، زين الدين.

إلى من غمرني برعايته وحنانه: جدي حفظه الله.

إلى أعمامي وأخوالي وكل عائلتي.

إلى براعم البيت: كوثر، إكرام، خولة، ماريا، شيما.

إلى من أعرتها نصف قلبي فكانت لي القلب كله صديقتي نعيمة

إلى شقيقة الروح وحلو الصداقة عزيزتي حفيظة

إلى من خطت معي سطور مذكرتي إلى من عزفت على أوتار أحاسيسي إليك سامية

إلى مثال الصبر إلى روح عمتي رحمها الله.

إلى من بهن التقيت وبقدر الله طرقت معهن إلى سماء العلم والإخاء: نعيمة، حورية، رشيدة، حياة، سامية، شميسة، نوال، غنية، حسينة، عقيلة، زهرة، صليحة، حسيبة ... وخاصة سهام.إلى كل من مر بشاطئ بحري وترك أثره راسخا في فكري ولم تسعه سطور صفحتي

أهدي دموع قلمي التي سالت على مذكرتي.

"عزيزة" "نسيمة"

إهداء

إلى شمس حياتي الدافئة التي احتضنتني في أحشائها ورعتني وحنت عليّ، فكانت ينبوعا مدرارا لا ينضب وجنة زاهرة تسبح النفس في ثناياها دون ملل إلى نبض القلب ونور العين... إليك أمي

إلى من زرع في قلبي العزيمة وروح المثابرة إلى من بث في قلبي غمار التحدي إلى الجواد الذي علمني كيف أصنع مجدي... إلى رمز فخري وعزتي إليك أبي

إلى من كانتا لي مثل الروح للجسد أختي، فوزية، آمال.

إلى من هونتا لي طريق النجاح بالدعاء أختي يمينة وزوجها

دليلة وزجها وأبنائها محمد وإسلام

إلى من كان وسيظل سندي في هذه الحياة: أخي حسان

إلى زوجة أخي سميرة

إلى توأم روحي ونبض فؤادي... إليك: ح. ت. أ. ف

إلى شموع البيت: شهاب، مروى، مأمون.

إلى من وقفت إلى جانبي سندا وعونا إليك ياسمينة

إلى من شاركتني أفراحي وأحزاني وكانت نعمة الأخت والصديقة إليك نادية

إلى كل الأهل والأقارب وبالأخص عائلة مخلوفي.

إلى من سارت معي لتشق طريق الخير والنجاح إليك عزيزة

إلى كل صديقاتي ورفيقات دربي، نوال، غنية، سامية، شميسة، حفيظة.

إلى كل من وسعهم قلبي ولم تسعهم صفحتي

أهدي ثمرة جهدي، عملي المتواضع.

"عائشة" "سلسبيل"

مقدمة

مقدمة:

الشعر العربي القديم مجال رحب الأرجاء متنوّع في مضامينه وأغراضه، وما الشعر الشعبي إلا امتداد لهذا الشعر من حيث مكانته في نفوس أهله، وتعبيره الحق عن واقعهم.

ومن الأغراض التي انتقلت من الشعر الفصيح إلى الشعر الشعبي: غرض الرّحلة الذي كان ولا يزال صورة صادقة نقلت حياة الرّحالة وأرخت للرحلات التي قام بها الجزائريون منذ عصور خلت، فعبر عنها فحول الشعر الشعبي في قصائد ترسم بصدق وأمانة أصالة المجتمع الذي كان الشعر لسان حاله، ومن الشعراء الذين عبروا عن هذه الأصالة نذكر: ابن سهلة، وابن مسايب اللّذين نظما في شعر الرّحلة الذي اخترناه موضوعا لبحثنا حيث أخذنا قصيدة "يا الورشان" لابن مسايب كنموذج، متبعين في ذلك منهجا وصفيا تحليليا.

وقد كان سبب اختيارنا لهذا الموضوع هو ما رأيناه من إهمال للشعر الشعبي وبالأخص شعر الرّحلة في حين جل الاهتمام بأدب الرّحلة خصوصا في الأدب العربي الفصيح تاركين الشعر الشعبي في هامش البحث، وهذا ما دفعنا إلى تناول شعر الرّحلة واخترنا دراسة قصيدة لابن مسايب باعتباره أحد فحول الشعر الشعبي الجزائري، عسانا نرد الاعتبار ولو قليلا لموروثنا الشعبي، ونلفت الانتباه لأعلامه لأنه المعبر الحق عن الواقع والمجتمع الجزائري، وقد حاولنا في بحثنا الإجابة عن التساؤلات التالية: ما هو شعر الرّحلة؟ وما هي أنواع الرّحلات؟ وكيف كان شعر الرّحلة قبل أن يستقل بقصائد خاصة؟ وهل الرّحلة في الشعر الشعبي امتداد للرّحلة في الشعر الفصيح؟ أم هي مستقلة بسمات خاصة؟.

وللإجابة عن كل هذه التساؤلات قسمنا بحثنا هذا إلى تمهيد وفصلين وخاتمة.

التمهيد: تناولنا فيه تعريف شعر الرّحلة وأهميته ولأغراضه.

الفصل الأول: تناولنا فيه الرّحلة كامتداد للمقدمة الطللية واستقلال غرض الرّحلة، والرحلات الخيالية.

الفصل الثاني: تناولنا فيه الرّحلة في الشعر الشعبي.

- وأنهينا بحثنا بخاتمة كانت عصارة هذه الدراسة وتمثلت في أهم النتائج المتوصل إليها.

ديوان ابن مسايب لمحمد بن الحاج الغوثي.

- نور الدين السد: الشعرية العربية.

- ألكسندر جولي: Revue Africaine

- مصطفى حركات: الهادي إلى أوزان الشعر الشعبي.

- فؤاد قنديل، أدب الرّحلة.

- ولابد أن نقرّ أنّه خلال بحثنا واجهتنا بعض الصعوبات أهمها: ندرة المراجع التي تتناول دراسة الشعر الشعبي وخاصة شعر الرّحلة.

وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف "بوحبيب حميد" على وقوفه بجانبنا وحرصه على أن يخرج هذا العمل إلى النور، كما نشكر كل من قدّم لنا يد المساعدة.

تمهيد:

خلق الإنسان بمؤهلات وغرائز تساعده على الحركة والتنقل، وتدعوه إلى ذلك وأمده خالقه بالعقل الذي يعينه على الانتقال من مكان إلى آخر بحثا عن غرائزه ومدافعا وحاميا نفسه من خطر يهدده، لذلك عرف الإنسان الرّحلة منذ اللحظة الأولى لميلاده، فهو في ارتحال مستمر حسب متطلبات حياته وطوارئها، فقد يتعرض الإنسان لعارض يدفعه لهجران أرضه فيغادرها، راغبا أو راهبا.

وقد عرفت العرب الرّحلة منذ القديم، فكانت دائمة الترحال بحثا عن الكلأ والماء، وهاربة من قوى معادية طبيعية كانت أو بشرية. وكان لها في الجاهلية رحلة الشتاء والصيف إلى الشام واليمن.

أما بعد الإسلام فقد انفتحوا على العالم برحلاتهم إما فاتحين وغازين وإما باعثين وفودا حتى أصبحت الرحلة مظهرا من مظاهر حياتهم.

"والرحلة في المفهوم السائد هي انتقال ضمن الفضاء الجغرافي والزمن التاريخي، وهي انتقال ضمن نظام اجتماعي وثقافي"[1].

فالرحلة إذن لا تنحصر في الانتقال ضمن الفضاء الجغرافي بل تمتد إلى البعد الزمني والنظام الاجتماعي، لأن الرحلة تكون من مكان يتميز بسكان لهم عادات ونمط اجتماعي ومعيشي خاص إلى مكان يختلف فيه الناس من حيث مبادئهم وطريقة حياتهم.

والرحلة تكتسي أهمية بالغة لأنها من أقرب الفنون إلى حياة الإنسان والأكثر تأثيرا فيها، فالإنسان بعد الرحلة ليس هو نفسه قبلها يقول حسني محمود حسين: "إنّ نمط الرّحلات يتعرض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد، إذ تتوفرّ فيه مادّة وفيرة مما يهّم المؤرخ والجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخيّ الآداب والأديان والأساطير. فالرّحلات منابع ثرّوة لمختلف العلوم، وهي بمجموعها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مرّ العصور"[2].

وأهمية الرّحلة تكمن في كشفها عما لا يكشفه التاريخ فهي تعطي لكل شيء بعده المناسب أما التاريخ فإنّه يشمل على تصوير حياة البلدان ونظم حكمها فحسب. فالرّحلة قامت بإخراج التاريخ عن حدوده الضيقة.

وللرّحلات أهمية عظمى تتمثل في قيمتها العلمية فهذه الأخيرة تمثلت في تزويد أهل التاريخ والأدب وغيرها بمعلومات قيّمة عن وصف المدن والعمران وأخبار النّاس وعاداتهم.

بل إنّ الرّحالة أنفسهم يحصلون على قسط وفير من العلوم بفضل التجارب الكثيرة وفي مختلف الميادين التي يمرون بها.

ولكلّ رحلة هدف وغرض حيث تتعدد أغراضها وأشكالها وتتنوّع الدوافع التّي تحمس الإنسان للقيام بها، وتختلف من شخص إلى آخر، وغالبا ما تكون دوافع دينية كزيارة الأماكن المقدسة أو التبشير بدين جديد أو لزيارة القبور أو دوافع علمية أو تعليمية: بعرض الاستزادة من العلوم أو لزيارة شخص قد ذاع صيته في مجال من مجالات العلم كالطب أو الفقه أو العمارة لكي يتعلم منه. كما كان يفعل قدامى العلماء.

1- دنييل هنري باجو، الأدب العام والمقارن، ترجمة غسان السيد، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997، ص 49.

2- حسين حسني محمود، أدب الرّحلة عند العرب، دار الأندلس، لبنان، ط2، 1989، ص 05.

أما الدوافع السياسية كالسفارات والوفود التي يبعث بها الرؤساء والملوك إلى نظرائهم في الدول الأخرى بهدف توطيد العلاقات أو تمهيدا لغزو أو فتح، فهي كثيرة، ومرتبطة بنشاط المبادلات السياسية بين الدول. أما الدوافع الاقتصادية فتمثلت في التجارة أو تبادل السلع أو لفتح أسواق وشركات جديدة أو بهدف الاستيراد.

وأهم دوافع الرّحلة على الإطلاق هو الدافع الأدبي أو الثقافي حيث يسافر الإنسان بهدف معرفة الجديد من خلق البشر والطبيعة أو لاكتساب خبرة بالمسالك وحتّى الطبائع أو بهدف معرفة الآثار والمعالم الشهيرة والغرائب عبر العالم. "عرفت الرّحلة الثقافية والأدبية منذ القديم فرحلة ابن فضلان ورحلة الغزال ورحلة ابن جبير، وابن بطوطة، وغيرهم من الأدباء والكتاب...تمثل جزءا غنيًّا ثريًّا من التراث العربي وفي العصر الحديث أسهمت الرّحلات في تعريف النخبة المثقفة باللّغات الأوروبية والآداب بما فيها من ثراء عاطفي ووجداني وتخييلي".[1]

إذا كان لكلّ رحلة هدف وغرض فإنّ ذلك يحقق الكثير للرّحالة ولبلده إذا استفاد من رأي وعرف "بهذا تكون الرّحلات قد رصدت تنوّع المعالم الحضارية في مختلف الجوانب الحياتية في البلدان التي قصدها الرّحالة وعكست صورة واضحة عن أحوال الشعوب وعاداتها وتقاليدها".[2]

الإنسان منذ ولادته حتّى اللحظة الأخيرة من حياته في رحلات دائمة تتعدد أشكالها فقد تضيق المسافة فتسمى الرّحلة داخلية، وقد تتسّع فتسمى خارجية. كما تنقسم الرّحلة إلى واقعية وخياليّة.

1-" رحلة واقعية: وهي التي تحدث ضمن مكان وزمان معينين، وينتقل فيها الرّحالة من مكان جغرافي محدد إلى مكان جغرافي آخر".[3]

2-" رحلة خياليّة: وهي التي ينتقل فيها الرّحالة إلى أمكنة متخيلة كالرّحلة إلى العالم الآخر في الكوميديا الإلهية لدانتي ورسالة الغفران للمعري".[4]

والرّحلة ليست مقتصرة على الأسباب والأنواع السالفة الذكر بل إنها سلوك قبل كلّ شيء "لانعدم أن نجد أسبابا أخرى للارتحال، كالسخط على الأحوال...وأيا ما كان الغرض من الرّحلة فإنّها في أغلب الأحوال سلوك إنساني حضاري يؤتي ثماره النافعة على الفرد وعلى الجماعة".[5]

ولأهمية الرّحلة ومدى تأثيرها في الرّحالة يدونها ويؤرخ لها إما نثرا وهو ما يعرف بأدب الرحلة أو شعرا وهو ما يطلق عليه شعر الرّحلة.

وشعر الرّحلة عبارة عن قصائد يصف فيها شاعر ما رحلته سواء كانت واقعية كرحلة الحج أو رحلة المغامرة. أو كانت رحلة خياليّة كرحلة شوق إلى ديار المحبوبة أو الأماكن المقدسة ويصفها ذهابا وإيابا ضمن قصائد تتميز بإيقاع موسيقي خاص وخصائص فنيّة مميزة.

ولقد مرّ شعر الرّحلة بمراحل طويلة قبل أن يستوي شعرا فقد كان في المهد في الجاهلية ثم نمى وترعرع قبل أن يصبح على شكله النهائي (قصائد خاصة بالرحلة) حيث صارع من أجل أخذ

1- إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2003، ص 43-44.

2- نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرّحلات الأندلسية والمغربية حتّى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008، ص 317.

3- محمدية أحمد سعيد، الطيب صالح عبقري، الرواية العربية، دار العودة، بيروت، ط1، ص 204.

4- نفس المرجع السابق، ص 204.

5- فؤاد قنديل، أدب الرّحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 2002، ص 21.

مكانته حين كان يأتي كامتداد للمقدمة الطللية، ببيتين أو ثلاث كتقليد فني في وصف الضعائن حيث كان الشاعر في الجاهلية ينتقل مباشرة بعد الوقوف على الأطلال إلى حديث الرّحلة ثم ينتقل بعدها إلى الغرض الرئيسي كالمدح مثلا وهذا النوع من القصائد يسمى القصائد المركبة.

الرّحلة في القصيدة الجاهلية غالبا ما تكون رحلة قبيلة المحبوبة أو وصف المغامرة ويرتكز فيها الشاعر على وصف راحلته ويسلك أغلب الشعراء نفس المسلك.

حيث يشبهون راحلاتهم بالبقر الوحشي "ويصف راحلته بعد تلك المقدمة، ويشبهها في قوتها بالبقرة الوحشية ويعدل عن وصفها إلى وصف المشبه به".[1]

أما في صدر الإسلام فقد تحرر معظم الشعراء من تقاليد القصيدة الجاهلية بما فيها وصف الناقة وتجربة الرّحلة وهنا بدأ انفصال شعر الرّحلة عن عمود الشعر التقليدي، وظهرت قصائد خاصة برحلات الحج، وقصائد أخرى يفخر فيها الشاعر بذاته ويبرهن على شجاعته وحبه للمغامرة، وكذلك قصائد الهجرة، وتفنن فيها الشعراء أيما تفنن.

أما في العصر العباسي فبدأ الشعر بنوع جديد من الرّحلات الخياليّة بإرسال الطيور لزيارة ربوع المحبوب، كما فعل الجاهليون حين يرسلون سلامتهم لأحبتهم مع البرق والرعد والغمام.

أما في العصر الأندلسي فقد تطوّر شعر الرّحلة، خاصة الرّحلة الحلم مع ابن خفاجة ورحلات الشوق والحنين عامة مع ابن زيدون وغيره.

وعموما فقد كان لشعر الرّحلة شعراء أثروه بحديثهم وتركوا فيه بصماتهم ومثال ذلك الشاعر ذو الرّمة الذي كثر عنده حديث الرّحلة، فهو الذي جدد فيه وميّزه، "وقد أغنى ذو الرّمة القصيدة العربية بحديث الرّحلة فصوّر هذا الجانب تصويرا فنيا بارعا، وأغناه بجماليات فيها كثير من التطوّر والتجديد".[2]

أما في الشعر الشعبي الجزائري فقد احتل شعر الرّحلة مكانة متقدمة عن الأغراض الأخرى حيث نظّم فيه الكثير من فحول الشعر الشعبي من أمثال بن سهلة، المنداسي، بن مسايب، ويسمى في الشعر الشعبي أو الملحون الجزائري بالقطاعة وهو استقلال لغرض الرّحلة في القصيدة الجاهلية وهو الشعر الذي يصف منتجعات الأحباب ومكان مصيفهم ومشتاهم، وإنما سميَ "قطاعة" من قولهم "المقطع"، أي المكان الذي يقطعون فيه مسار الترحال لاختصار المسافة، وهو أيضا المَعْبَرْ.

وقد اكتسى هذا اللون الشعري حلة جمالية وأهمية بالغة فهو بمثابة مؤرخ لرحلات قام بها فرد أو قبيلة وأثناء الرّحلة يقول الشاعر قصيدة تتناقلها الألسن وبهذا تؤرخ لرحلة ما ولقبيلة ما. كما أن أهمية شعر الرّحلة تكمن في الجانب النفسي فمثلا حين يشتد شوق الشاعر لأحبته يقوم برحلة خياليّة بإرسال الحمام أو الغمام لمحبوبه وبهذا يفرج عن نفسه ويخفف عنها.

كما أنّه يعد همزة وصل بين الأجيال فحين ينظم شاعر ما في رحلة قبيلة معينة ويتناقلها جيلا عن جيل فَيُعْرَفُ بها تاريخ تلك القبيلة وعادات أهلها خلال الترحال كما يعرف من خلال هذا النوع من الشعر المسالك والطرقات وكيفية تجاوز صعوباتها.

1- محمد زغلول سلام، مدخل إلى الشعر الجاهلي، دراسة في البيئة والشعر، منشأة المعارف للنشر، الإسكندرية، (دط)، (دس)، ص 210.

2- نور الدين السد، الشعرية العربية دراسة في التطوّر الفنّي للقصيدة العربية حتّى العصر العباسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 377.

كما للرّحلة غرض وهدف كذلك لشعر الرّحلة غرض وهدف وأهمّ أغراضه: غرض ديني كالرحلات التي تنضخ بالإيمان ويلهج فيها لسان الشاعر بذكر الأماكن المقدسة كما فعل ابن جبير وابن مسايب...وغيرها.

كما قد ينظم شعر الرّحلة في الشوق إلى ربوع الأحبة فيقوم الشاعر برحلة إلى حبيبته إما واقعيا أو خياليّا فنجد قصائد رحلة تنضخ بالشوق والحنين وتفيض بمعاني تعبر عن ذلك.

كما أن شعر الرّحلة يخلد أماكن ومدن وتاريخ أشخاص وقبائل. من خلال قصائد الرّحلة يحاولون تمرير رسائل فكلّ قصيدة تحمل رسالة خاصة في الملحون الجزائري.

كما أن الغرض من قول أو نظم قصائد الرّحلة أو أغاني الطريق هو نسيان مشاق السفر وبعد المسافة. ولم يكن الغرض منها اكتساب الشهرة وتحقيق الرواج إلا في حالات خاصة.

كما أن شعر الرّحلة ينضخ بمشاهد وصفية وذلك راجع إلى أن العربي شديد الولع بالوصف فقد وصف كل ما وقعت عليه عينه.

إضافة إلى أنّ شعر الرّحلة حقق له غايات أخرى منها التواصل بين الأجيال والتأريخ، ونقل العادات والتقاليد، والصور الحضارية فهو أيضا عمل إنساني وجداني نبيل جدا يعبر عن حالة الإنسان وانفعالات وكلّ ما يخالجه من مشاعر تأرقه أو تطيب خاطره، فالشعر لسان حال العرب وإرثهم ومصدر عزهم وفخرهم.

الفصل الأول:
الرّحلة في الشعر العربي الفصيح

I- الرّحلة كامتداد للمقدمة الطللية

أ- من الأطلال إلى وصف الضعائن في الجاهلية:

من عادة الشعراء الجاهليين افتتاح قصائدهم بالوقوف على الأطلال ثم الانتقال بعد الوقوف على الطلل إلى وصف مشاهد الرّحلة، رحلة الضعن بما فيها من قفر ووحشة وما تثيره من مشاعر إنسانية أثناء الفراق. وحديث الضعن يتعلق بوصف أحداث الرّحلة من بدايتها إلى نهايتها حيث يبث

الشاعر من خلالها مشاعر لحظة الوداع والخوف من الفراق فيصور الشاعر ضياعه بعد رحيل أحبته. ووصف الضعن غالبا ما يشتمل على موقف مؤثر، يضمنه الشاعر أبعادا فنية وجمالية، لطالما شغلت حيزا كبيرا من تفكيره: "رحلة الضعن تختلف في دلالاتها ورموزها باختلاف مواطنها من سياق القصائد، فهي ترمز إلى البحث عن الحقيقة، أو المصير الإنساني، أو الشباب المولي بمباهجه وعزه. أو الاغتراب... والجفاء بين الأحبة".[1]

يرد وصف الضعائن بعد المقدمة الطللية مباشرة كما يمكن أن يرد كمقدمة، ولأن الجاهلي شديد الولع بالوصف فإنه يصف خلال هذه الرّحلة من انطلاق الركب ووصفه لما تقع عليه عينه من ذكر الضعن والنساء وحتّى هوادجهن.

"وإذا كانت الضعائن قد احتلت حيّزا كبيرا في قصائد الشعراء الجاهليين فإنها تشكل نسبة ضئيلة في قصائد الشعراء الأمويين بالمقارنة مع نظيرتها الجاهلية".[2]

مال الشعراء في العصر الأموي إلى الاقتصاد في الوصف المفصل للمشاهد التي تميزت بها رحلة الضعن بل إن بعضهم قد تخلى عنها واتجه نحو توليد معاني جديدة تتناسب مع طبيعة العصر والذوق الفني الجديد.

أما شعراء العصر العباسي الأول فقد نفروا من وصف الضعن باعتباره تقليدا فنيّا واستبدلوه بعناصر أخرى تتلاءم وطبيعة الحياة الجديدة "والملاحظ أنه لم يرد في ديوان بشار على كبره إلا مقدمة واحدة، وصف فيها الضعن ومع ذلك لم تستكمل خصائصها الفنية التقليدية".[3]

يقول بشار بن برد من بحر الوافر

أأبجر هل لهذا الليل صُبْـح؟ وهل بوصال من أحببت نصحُ؟

أأبجر قد هويت فلا تلمنــي على كبدي من الهجران قرحُ؟

جرى دمعي فأخبر عن ضمير كجاري لمسك دل عليه نصح[4]

1- نور الدين السد، الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 305.
2- المرجع نفسه، ص 308.
3- نور الدين السد، المرجع نفسه، ص 309.
4- ديوان بشار بن برد، قرأه وقوم له الدكتور إحسان عباس، دار الصادر للنشر، لبنان، ط2، 2006، ص 189.

نموذج من وصف الضعائن في الجاهلية

زهير بن أبي سلمى

خضع زهير على غرار الشعراء الجاهليين للتقاليد الشعرية العربية حيث وقف على أطلال محبوبته "أم أوفى" ثم انتقل إلى وصف مشهد الرحيل والهوادج كما وصف الطريق والأماكن التي مر بها الموكب ويظهر ذلك من خلال قوله في القصيدة:[1]

أمن أمَ أوفى دمنة لم تكلّـــم بحومانة الدرّاج فالمتثلّـــم

ودارٌ بها بالرّقمتين، كأنـــها مراجيع وشم في نواشر معصَمِ

فلما عرفت الدّار قلت لربعـــها ألا أنعم صباحا أيها الربع واسلم

تبصر خليلي: هل ترى من ضعائن تحملن العلياء من فوق جرثـم

جعلت القنان عن يمين وحزنـــه وكم بالقنان من محلّ ومحـرم

وعالين أنماطا عتاق وكلّـــة وراد الحواشي لونها لون عنـدم

ووركن في السوبان يعلون متنـه عليهن دلّ الناعم المتنعـــم

بكرن بكورا واستحرن بسحـره فهن ووادي الرّس كاليد للفـم

وفيهن ملما للصديق ومنظـــر أنيق لعين الناظر المتوســـم

كأن فتات العهن، في كل منـزل نزلت به حبّ القنا لم يحطّـم

فلمّا وردن الماء زرقا حمامـه وضعن عصى الحاضر المتخيم.

1- ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتقديم علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003، ص 102-103.

- بعد أن وقف الشاعر على أطلال محبوبته ووصف آثار بيتها المغبرة التي حدد وقوعها بين مكانين هما: حومانة الدراج والمتثلم. وآثار منزل لها بالرقمتين وقد تعددت آثار محبوبته لأن العرب عرفوا بكثرة الترحال، وقد شبّه تلك الآثار بالوشم في المعصم الذي يجدد كلما أمحى لأن السيول تكشف الآثار التي غطاها التراب ثم يعود بذكرياته إلى أيّام رحيل محبوبته وأهلها ويستحضر من خلال ذاكرته تلك الصورة بكل جزئياتها وكأنها حدثت بالأمس، وكتقليد فني يطلب من رفيقه تأمل منظر الرّحلات في هوادجهن وهو يصور انطلاقة الرّحلة من العلياء ثم جرثم، ويصف موكب الإبل وستر الهوادج المفروشة كما وصف النساء وهن يعتلين الراحلة ويصف الدلال البادي عليهن ويعود ربما ذلك الدلال إلى طيب العيش ونعيمه، ويذكر أن الرّحلة بدأت في وقت مبكر.

"وبدأت المسيرة في وقت مبكر عند السحر قاصدة وادي الرس، لا تحيد عن هدفها كما لا تخطئ اليد طريق الفم واتخذت طريقها بأن جعلت جبل القنان يمينا، وكذا الأرض الغليظة حوله".[1]

وأخذ وصف النساء حصة الأسد في الأبيات فقد وصفهن أثناء قطعهن وادي السوبان وأثناء نزولهن في أوقات الراحة. وكلما نزلن كانت تتناثر قطع الصوف الملون ثم استمر في وصفهن حتى وصلن المكان المقصود وكان به الماء الصافي ونصبت الخيام للاستقرار والإقامة: "فلما وردت هؤلاء الضعائن الماء وقد اشتد صفاء ما جمع منه في الآبار والحياض عزمن على الإقامة كالحاضر المبتني الخيمة".[2]

الرّحلة كمغامرة شاقة صبر على الجوع والعطش والخوف.

- رحلات الصعاليك- الشنفرى أنموذجا-

إن حياة الصعاليك عبارة عن رحلة دائمة ومغامرة شاقة شيقة لا تنتهي لأن أغلب الصعاليك كانوا شعراء كعروة بن الورد والشنفرى الأزدي، وتأبط شرا فقد حفل شعرهم بالفخر بحياة الصعلكة وما فيها من شجاعة وكرم إلى جانب هذا كانوا يعتمدون في شعرهم نوعا آخرا من الفخر لم تعهده العرب ألا وهو الفخر بالصبر على الجوع إلى الحد الذي يصاب فيه بالذهول وصبر على العطش في صحراء مقفرة. وهو موقف إنساني نبيل عند الجاهليين الذين لا يرضون بالسؤال والمذلة"يصف تأبط شرا حياة الصعلوك".

يبيت بمغنى الوحش حتى ألفنه ويصبح لا يحمى لها الدهر مرتعا

على غرّة أو جهرة من مكانس أطال نزال الموت حتى تسعسعا"[3]

- في هذين البيتين يصف الشاعر ما يقاسيه الصعلوك من تشرّد وغربة ومغامرة شاقة بين الوحوش والصحاري يعاني الجوع ويعيش مترقبا الموت في كل لحظة.

"والجوع عند هؤلاء اللصوص أمر طبيعي ماداموا يسرفون في إنفاق ما يغنمونه ومادام المجتمع قد وقف لهم بالمرصاد كما وقفوا له".[1]

1- إخلاص فخري عمارة، الشعر الجاهلي بين القبلية والذاتية، مكتبة الآداب للنشر، القاهرة، ط2، 2001، ص 141.

2- الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 81.

3- يحيى الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان، مجداللاوي للطباعة والنشر، عمان، ط1، 2008، ص 42.

- أحيانا يشتهر الإنسان حين يصور حياته ويجيد في ذلك وخير من رسم لوحة لحياة الصعلوك هو الشنفرى الأدزي في لاميته التي عرفت بلامية العرب.

"أديم مطال الجوع حتـــى أميتـــه واضرب عنه الذّكر صفحا فأذلّ

استفّ ترب الأرض كي لا يرى لـــه علي من الطول أمرؤ متطـوّل

ولو اجتناب الذام لم يلف مشـــرب يعاش به إلاّ لديّ ومأكـــل

ولكـن نفسا مـرّة لا تقيم بـــي على الضّيم إلا ريثما أتحـول

وأطوي على الخمص الحوايا كما انطوت خيوطه ماريّ تغار وتفتـل

وأغدو على القوت الزهيد، كما غـدى أزلّ تهاداه التنائف أطحـل

غدا طاويا يعارض الريح هافيـــا يخوت بأذناب الشعاب ويعسل

فلما لواه القوت من حيث أمّـــــه دعا فأجابته نظائر نحّـل

مهلهلة شيب الوجوه كأنّهـــــا قداحٌ بكفى ياسر تتقلقـل"[2]

- صرّح الشاعر في قصيدته هذه بمله من قومه وعزمه الخروج منهم إلى الصعاليك وعبر عن رغبته في معاشرتهم لأنه جاهز للرحيل.

- ثم ينتقل بعد ذلك إلى الفخر بقوة صبره على الجوع وتحمله وكذا فخره بسرعته الفائقة في العدو إلى الفريسة: "ألفت الجوع وتحملته إلى أن صارت أمعائي جافة، صلبة، رفيعة، متداخلة، مفتولة، كأنها خيوط أحكم فتلها صانع ماهر للحبال".[3]

- لقد بالغ الشنفرى في فخره بسرعته التي تسابق الريح والتي يستطيع بها مجاراة الذئب، بل ذهب إلى أبعد من ذلك إلى درجة منافسة الذئب على الطعام وذهب إلى مجال فخر آخر بعد التجلّد على الجوع ومنافسة الذئب، إنه المقدرة العجيبة على تحمل الضمأ والنوم غير المريح، إضافة إلى المتاعب النفسية التي لا يجد بعدها فرصة للراحة والهدوء.

II- استقلال غرض الرّحلة وانفصاله عن عمود الشعر التقليدي:

كان غرض الرّحلة يأتي في ثنايا القصائد المركبة في الجاهلية كامتداد للمقدمة الطللية، ثمّ أخذ هذا الغرض يصارع للحصول على مكانته إلى أن انفصل عن عمود الشعر التقليدي وأصبحت له قصائد خاصة به كقصائد الحج وقصائد المغامرة...الخ.

أ- رحلات الحج:

عندما بزغ فجر الإسلام وأطل على الجزيرة العربية بنوره كان القرآن معجزة الإسلام الكبرى، وكلمة الله إلى البشر كافة داعيا في مواضع عديدة إلى السفر والترحال والضرب في

1- عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 2004، ص 168.

2- الشنفرى، نقلا عن إخلاص فخري عمارة، الشعر الجاهلي بين القبلية والذاتية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2001، ص 259.

3- إخلاص فخري، المرجع نفسه، ص 260.

الأرض، نذكر من ذلك قوله تعالى: **"قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ"**.[1]

وكان الحج أحد أكبر دوافع الرحلة نحو المشرق، وقد أقدم المسلمون على تلبية هذه الدعوة الكريمة بكل حماس، وقبل أن يحين موسم الحج بشهور تتحرك القلوب منطلقة إلى البقاع المقدسة، ثم يركب الحجيج الدروب الطويلة الصعبة في اتجاه مكة والمدينة.

فعامل الحج هو الذي يقضي بشد الرحال من كل فج، ومن كل حدب وصوب إلى مكة المكرمة والأماكن المقدسة الأخرى، كما تقتضي هذه الرّحلة زيارة قبر الرّسول وصحبه الكريم وبعض المعالم الدينية كالمسجد الأقصى، والمزارات التراثية للأنبياء والأولياء، في كل من بغداد ودمشق والقاهرة...الخ: "ويعد هذا العامل من أقوى البواعث على الرّحلة فهو مبعث الحنين في نفوس الأندلسيين والمغاربة على ارتياد البلد الحرام، فالحج من أهمّ الوشائج التي ربطت بين المشرق والمغرب".[2]

كما أن عامل الحج أدى دورا كبيرا في توحيد الثقافات ومحو الفوارق على الرغم من بعد المسافات.

ورحلة الحج غالبا ما تكون شاقة محفوفة بالمخاطر، إلا أن هذا لا يمنع من فيض مشاعر الإجلال والإكبار لدى قاصديها حيث يصف ابن جبير رحلته الطويلة الشاقة إلى هذه الديار المباركة بقوله:

إليك إليك نبي الهدى ركبت البحار وجبت القفارا

وفارقت أهلي ولامنة وربّ كلام يجرّ اعتذارا[3]

- ولعلّ عامل الحج ينطوي على عامل نفسي هو شدة تعلق المسلمين عامة والمغاربة خاصة بزيارة الأماكن المقدسة والمجاورة لها، فيذكر ابن بطوطة في بداية رحلته سبب خروجه إلى المشرق: "كان خروجي من طنجة مسقط رأسي يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة معتمدا حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرّسول (ص)".[4]

نلاحظ أن ابن بطوطة أرّخ لبداية رحلته على غرار الرحالين في عصره، وأيضا نلاحظ حضور المكان المقدس في رحلته فهو رمز الارتواء والراحة النفسية واطمئنان البال.

وإذا كانت لرحلة الحج فائدة دينية ونفسية فلها أيضا فوائد كثيرة تتعلق بالعمران والاقتصاد، وتقدم لنا أيضا صورة عن المستويات الثقافية والمعيشية في المجتمعات والناس الذين تمر بهم رحلة الحج.

ب- رحلات السفر البعيد والمغامرة:

1- القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية: 15.
2- نوال عبد الرحمن شوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، المأمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008، ص 27.
3- المرجع نفسه، ص 28.
4- ابن بطوطة محمد بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار، تقديم محمد السويدي، موقع للنشر، الجزائر، ج1، 1989، ص 07.

لقد صورت الكثير من القصائد العربية الرحلة في صورة استطاعت أن تعبّر بها عن واقع البعد الذي كان يشعر به الشعراء في بيئتهم وقد استغل الشعراء ظاهرة الرّحلة في القصيدة المركبة، وسجلوا من خلالها صورة الإنسان وهو يخوض الرّحلة، وبعد أن أصبحت للرّحلة قصائد خاصة بها سجل الشعراء من خلالها الإنسان وهو يخوض صراعا مريرا مع الصحراء ليثبت شجاعته وحبّه للاستمرار رغم الصعاب، والعربي بطبعه محب للترحال، كثير المغامرة وكانت العرب تفخر بالشجاعة والمغامرة والأنوفة.

وقد نظم في ذلك الشعراء وأبدعوا منذ الجاهلية إلى العصور المتأخرة، يقول عمرو ابن قميئة نقلا عن نور الدين السد:

"وبيداء يلعب فيها السرا ب يخشى بها المدلجون الضلالا

تجاوزتها راغبا راهبا إذا ما الضباء اعتنق الضلالا

بضامرة كأتان ثمـــ ل عيرانة ما تشكي الكـلالا"[1]

- في هذه الأبيات استعان الشاعر بألفاظ تدل على بيئة بدوية مقفرة صعبة مثل: بيداء، السراب، الضباء، أتان للكشف عبر الرحلة، عن خطورة العالم الذي يغامر فيه من صحراء مقفرة موحشة بحيواناتها المفترسة لا يتسنى لأي إنسان أن يسافر عبره دون شعوره بالخوف وخشيانه من الضياع إلا أن الشاعر تجاوزه بجرأته وشجاعته وحبه للمغامرة وهذا ما جعل منه فارسا، ولكن كل هذا لا يمنع من شعوره بالرهبة أمام عالم الرّحلة المجهول.

لطالما عبّر الشعراء عن شجاعتهم وحبهم للمغامرة بوصفهم لسفر بعيد ولصحراء مقفرة موحشة يضفون عليها نوعا من الخيال كعزيف الجن في جنح الليل وعواء الذئاب وأصوات البوم خاصة في العهد الأموي.

ج- رحلات الهجرة:

عرف الإنسان الهجرة منذ القدم والعربي على وجه الخصوص ذو طبع ترحالي فقد كان ينظم أشعارا يمجد فيها وطنه وأهله كلما اغترب عنهم وشعر بالحنين إليهم، وكان الجاهلي إذا اغترب عن قومه عاوده الحنين إليهم فيبث حنينه هذا من خلال قصائد يتغنى فيها بشوقه إلى الأهل والعشيرة.

وخير من يصور آلام الغربة حسب يحيى الجبوري هو جبلة بن الأيهم الذي رفض أن يعتذر لأعرابي لأنه الملك ويلطمه مثلما لطمه، فرحل إلى بلاد الروم واعتنق النصرانية ولكنه ندم بعد ذلك وأصبح يعاني الغربة والوحشة ويحن إلى أهله وقومه: "صار يتمنى لو عاد وصار رجلا من عامة الناس يرعى الإبل في البوادي ويرضى أن يعيش فقيرا بدياره في الشام أو حتى أسيرا لدى قبيلة عربية بعيدا عن غربته في بلاد الروم".[2]

يقول جبلة بن الأيهم:

تنصرت الأشراف من عار لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

تكنفني فيها لحاج ونخـــوة وبعت بها العين الصحيحة بالعور

1- نور الدين السد، المرجع السابق، ص 360.
2- يحيى الجبوري، المرجع نفسه، ص 23.

فيا ليت أمي لم تلدني وليتنـــي رجعت إلى القول الذي قال لي عمر

ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة وكنت أسيرا في ربيعة أو مضــر

ويا ليت لي بالشام أدنى معيشـة أجالس قومي ذاهب السمع والبصـر

- وكلما هاجر العربي واغترب عن وطنه وقومه ازداد حنينه إليهم واشتعلت نيران الأشواق إلى أحبته وتهيجت آلام غربته فالشاعر عندما يبتعد عن بيئته لا يستطيع التأقلم مع البيئة التي نزل فيها، والناس حوله غير الناس، فهم مختلفون في عاداتهم ومعيشتهم.

- وقد تكون هجرة العربي بسبب فراق حبيبته حين تنأى عنه فيضطر للرحيل بغية النسيان...

- وهناك نوع آخر من الهجرة هو هجرة الجند لأجل فتح جديد أو بهدف الغزو، وأثناء الهجرة يصاب الجندي في معركة فيبقى في أرض غريبة يعاني سكرات الموت بعيدا عن وطنه فيزداد شوقه وحنينه وبكاءه.

« كما كان حال مالك بن الريب الذي يحن إلى واد الغضى ويكرر ذكره عدة مرات في قصيدته متمنيا أن يقضي فيه ولو ليلة».[1]

يقول مالك بن الريب:

«ألا ليت شعري هل أبيتن ليلـــة بجنب الغضى أزجي القلاص النواجيا

فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه وليت الغضى ماشا الركاب لياليـــا

لقد كان في أهل الغضى لودنا الغضى مزار ولكن الغضى ليس دانيـــا»[2]

3- الرحلات الخيالية:

عرفت الحضارة الإنسانية منذ الأزل عدة رحلات خيالية قام بها الإنسان حالما أو زائرا إلى العالم الآخر أو باعثا برسول، ومهما اختلفت ضروب الرحلات الخيالية يظل بينها رابط مشترك وهو إما الفضول أو الشوق.

وما يضفي عليها طابع خاص هو ما يتميز به الإنسان من حبه للوصف فيقوم بوصف رحلات ما قام بها أصلا، وإنما تخيلها أو حلمها أو حتى بعث من يقوم بها بدلا عنه.

ومن أكثر الرحلات الخيالية استقطابا للبشر هي الرحلات للعالم الآخر في مختلف الحضارات مثل الكوميديا الإلهية لدانتي، الفردوس المفقود لهلتون.

أما في الحضارة العربية فنجد رسالة الغفران لأبي العلاء المعري التي زار فيها الجنة والنار واصفا عالم الموت.

أ- الرّحلة إلى العالم الآخر (الجنّة والنّار) – رسالة الغفران أنموذجا-

رسالة الغفران عبارة عن رحلة خيالية إلى العالم الآخر قام بها أبي العلاء المعري متنقلا بين الجنّة والنّار، وهي تتألف من عدة وحدات، حيث بدأ من الجنّة ثم الجحيم ثم العودة إلى الجنّة

1- جبلة بن الأيهم، من كتاب الأغاني نقلا عن يحيى الجبوري، مرجع سابق، ص 23.
2- مالك بن الريب، جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، نقلا عن يحيى الجبوري، المرجع نفسه، ص 81.

ووصف الجنّات المختلفة في طبيعتها ومراتبها كجنّة الإنس والعفاريت، وأبطال هذه الرسالة ليسوا أناس عاديين وإنما هم الشعراء والنحاة وأصحاب الأدب كما أنه جعل حور العين وخزنة النّار والجنّة من أبطال القصة.

بدأ القسم الأول من الرسالة بخبر عن وصول رسالة ابن القارح التي استهلّها بتمجيد الله، وهذا التمجيد هو الذي أصبح سلما يعرج به إلى العالم الآخر حيث جعل الله بقدرته في كل كلمة تكتب لتمجيده نورا يعرج به الشيخ إلى السماء. وبفضل هذا الكلام الطيب غرس له شجر في الجنّة يجلس في ظلّه مع من أراد من ندامى الفردوس، وكلّ من اصطفاهم في الجنّة هم من رواة الشعر وعلماء اللّغة، وهم في مجلسهم هذا يتناشدون الأشعار، ويتذاكرون، وقد سخّر لخدمتهم ولدان مخلدون يسهرون على راحتهم وفي هذا المجلس يذكر الندامى ما قيل عن جلسات الخمر وكؤوسها، ونشوتها في الدنيا، فيجيء ذكر الأعشى ويتمنون صحبته لهم، وكل ما يتمنونه يتحقق في لمح البصر فيمثل أمامهم الأعشى: "فيجيء ذكر الأعشى فيتمنون له أن يكون بينهم يطربهم بشعره فلا يكادون يعربون عن هذه الأمنية حتى يمثل أمامهم الأعشى أحور العينين".[1]

ويستمر ابن القارح في تجواله عبر رياض الجنّة فيرى قصرين منيفين عليهما لافتتان باسم عبيد بن الأبرص وزهير بن أبي سلمى ويدور بينهما حوار ويسأل ابن القارح عبيد بن الأبرص عن عدي بن زيد فيدلّه عليه فيلقاه وحين يذهب الشيخ رفقة عدي في رحلة صيد يلقيان النابغة الجعدي والنابغة الذبياني حين ذاك يلتم شمل الشعراء والأدباء ويتناشدون الشعر مع الغناء وتدور بينهم خمر الجنّة ولا يلبثون أن تقع مشاحنة بين الأعشى والنابغة الجعدي فيتبادلان أفحش السباب.

ويستأنف الشيخ طوافه في رياض الجنّة فيلقى جمعا من الشعراء هم عوران قيس، فيطيل مساءلتهم في شعرهم فيعجبون لحفظه: "فيقولون نحن عوران قيس تميم بن مقبل العجلاني وعمرو بن أحمر الباهلي والشماخ معقل بن ضرار، أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان وراعي الإبل، عبيد بن الحصين النميري، وحميد بن ثور الهلالي.[2]

...ويقيم ابن القارح مأدبة يدعو إليها كل من في الجنّة من الشعراء واللّغويين والمتأدبين، ويدعى من في الجنّة من مشهوري المغنيين والمغنيات، وتدور مناقشة بين علماء اللّغة حول اشتقاق كلمة "أوزة" يفترق المجلس بعدها.

ويخطر على بال الشيخ الإطلاع على أهل النّار فيركب بعض دواب الجنّة ويسير فيمر بطريقه بجنّة العفاريت حيث يلتقي بشيخ من الجنّ يسمعه قصيدتين مطولتين، ثم يستمر في سيره حتى يلتقي عتبة بن أبي لهب والحطيئة والخنساء، ويلقى إبليس في النّار. ويدور بينهما حوار ثم يلقى إمرؤ القيس وعنترة بن شداد وعلقمة بن عبدة وغيرهم كثير، وبعد انتهائه من محاورتهم همّ عائدا إلى الجنّة.

ويمرّ في طريقه إلى منزله بأبينا آدم حيث سأله في الشعر المنسوب إليه وفي لغة أهل الجنّة: "إنما كنت أتكلّم بالعربية وأنا في الجنّة، فلما هبطت إلى الأرض نقل لساني إلى السريانية فلم أنطق بغيرها إلى أن هلكت"[3]، وعرج في طريقه على جنّة الرجز حيث قابل منهم الأغلب العجلي

1- منير سلطان، التضمين والتناص وصف رسالة الغفران للعالم الآخر نموذجا، شاه المعارف للنشر، مصر، 2004، ص 79.
2- أبو العلاء المعري، رسالة الغفران تحقيق علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، لبنان، ط3، 2007، ص 96.
3- المرجع نفسه، ص 167.

والعجاج ورؤبة وأبا النجم...وقرر أن مكانهم المتواضع في الجنّة على قدر منزلتهم المتواضعة في الشعر. وتنتهي الرّحلة بوصول ابن القارح إلى محلّه المشيد في دار الخلد.

حادثة الإسراء والمعراج هي التي أوحت لأبي العلاء المعري أن يصعد بابن القارح إلى العالم الآخر، فهذه الحادثة تبقى معجزة راسخة في عقل كل مسلم سواء عرفها بالإجمال أو التفصيل، وصعود ابن القارح إلى حيث الجنّة والنّار كالمعراج وبدلا من ركوبه البراق ركب في الجنّة نجيبا من ياقوت. كما ركب هو وعدي في رحلة الصيد من خيل الجنّة.

ب- الرّحلة الحلم:

الرّحلة الحلم من الرحلات الخيالية مثلها مثل السفر إلى عالم الجنّة والنّار، وإذا كان السفر إلى العالم الآخر هو رحلة إلى النوم الأبدي فإن الرّحلة الحلم هي رحلة نوم زمني، ومن أشهر رحلات الحلم رحلة ابن خفاجة التي قام بها إلى المشرق مسقط رأس آبائه حين بلغ الثمانين من عمره ولم يعد قادرا على تحمل السفر ومشاقه وفي الحين الذي تمكن منه الشوق وغلبه الحنين وعزف على أرق مشاعره قام بهذه الرّحلة وهو أمام جبل بال،دلس فنام أو غفى فقام برحلة أثناء نومه إلى موطن آبائه وعز أيامهم.

ونلاحظ أن ابن خفاجة بدأ قصيدته بمطلع تساؤلي حيث يسأل إن كانت الرياح الجنوبية العنيفة أو ظهور الإبل هي التي تسير رحله في قوله:

"بعيشك هل تدري أهوج الجنائب تخب برحلي أم ظهور النجائـــب"[1]

- ويمضي الشاعر وصف رحلته بعد المطلع ليصفها لنا على نحو ما يفعل عادة الشاعر الجاهلي حين يصف رحلته من الظاهر حتى أنه يوهمنا بوصفه لرحلة حقيقته عبر الصحراء في ظلام الليل الدامس على عادة أسلافه الشعراء حيث يقول:

"فما لمحت في أولى المشارق كوكبا فأشرقت حتى جبت أخرى المغارب"[2]

- في هذا البيت يوهمنا الشاعر أنه يتحدث عن رحلة له بدأها من المشرق وجاب بها المغارب وأقاصيها، كما أن الشاعر ربما قصد بالمشارق المشرق العربي وهو مسقط رأس معظم الأندلسيين والمشرق الثاني هو مشرق الأندلس وعلى وجه التحديد بلنسية مسقط رأس الشاعر.

ونلاحظ أن الشاعر قد خالف الشاعر الجاهلي حين تخلّى عن وصف مصاعب الرّحلة وأهوالها ففي قوله:

"وحيدا تتهاداني الفيافي فأجتلي وجوه المنايا في قناع الغياهـب"[3]

- هنا كشف الشاعر عن معظم مصاعب الرّحلة ومخاطرها فالبقاع المقفرة تسلمه إلى أخرى فيتخيل في كل لحظة الموت مخبأ له في الغيب.

- ومن المصاعب التي أفرد لها بيتين هي عدم وجود الرفيق وعدم توفر المأوى والأنيس.

1- ديوان ابن خفاجة، تقديم كرم البستاني، صدر عن وزارة الثقافة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص 42.
2- المرجع نفسه، ص 42.
3- ديوان ابن خفاجة، المرجع السابق، ص 42.

"ولا جار إلا من حسام مصمم ولا دار إلا في قتود الركائــب

ولا أنيس إلا أن أضحك ساعة ثغور الأماني في وجوه المطالب"[1]

« فالبيتان يصفان المصاعب التي يواجهها الشاعر في رحلته وهو ما ينطبق تماما على الشعراء الجاهليين من حيث المعاني والصور...كثيرا ما يشكو الشاعر الجاهلي من وحدته في السفر وأنه ليس له رفيق».[2]

- ومما يزيد صعوبة رحلة ابن خفاجة هو طول الليل، وهو نفس ما شكا منه الشاعر الجاهلي لأنه مصدر قلق للشاعر المرتحل لأنه قد يظل طريقه أو تداهمه وحوش الصحراء ولا شيء يخفف من رحلة ابن خفاجة إلا الأمل بتحقيق الغايات والوصول إلى الهدف من هذه الرحلة.

"بليل إذا ما قلت قد باد فانقضى تكشف عن وعد من الظن كاذب

سحبت الدياجي فيه سود ذوائب لأعتنق الآمال بيض تراتــب"

3- إرسال الطير "الحمام" لأداء رحلة بدلا عن الشاعر:

كان العربي كثير التنقل بحثا عن الكلأ تارة والاستقرار تارة أخرى وكنتيجة لهذا التنقل والترحال تتشتت قلوب الأحبة وتتفرق أجسادهم وترحل أفكارهم وعقولهم إلى مكان وجود أحبتهم فيعيشون على ذكرى الود والتصافي في أحضان القبيلة التي جمعتهم.

ولأن الشاعر مرهف الإحساس يتأثر بالفراق والبعد أكثر من الإنسان العادي فيعبر عنه ويسعى إلى تجاوزه خاصة إذا تعلق الأمر بغياب الحبيب فعندما يستبد الحنين بالشاعر ويبلغ منه الشوق مبلغا يدفع إلى البحث عن رسل تكون همزة وصل بينه وبين من فرقه الزمان عنهم، فيسلك مسلك أسلافه فيرسل الطيور والبرق والرياح والسحاب...الخ لتحمل رسائله وأشواقه إلى أحبته وتقوم برحلة بدلا عنه إلى ربوع المحبوب أو الأماكن المقدسة مثلا، ويحرص دائما على أن تكون هذه الرسل ذوي سرعة فائقة. كما يحرص على أن تكون ذوي إيحاءات طيبة وخيرة مثل: الحمام يرمز إلى السلام والسحاب يدل المطر، والبرق كذلك، والرياح تدل على السرعة والنسيم يدل على الرقة...الخ.

ويعود اختيارهم للرسل ذوي دلالات خيرة لأن العرب كلنا كثيرة التطير والتشاؤم، فيتشاءمون من البوم لأنه دليل الموت عندهم كما يعتبرون الغراب نذير شؤم.

وكانوا يتفاءلون بالحمام من الطيور لأنه يرمز للاطمئنان والسلام، كما أنه كان في العهدين العباسي والأندلسي حامل الرسائل أو ما يعرف بالحمام الزاجل -كان بمثابة ساعي البريد- ومن الشعراء الذين أرسلوا البرق ونسيم الصباح نذكر ابن زيدون الذي أرسلهما إلى معشوقته ولادة عندما اشتد شوقه إليها واختار هذين الرسولين على وجه الخصوص لأنهما ذوي سرعة خارقة وكذلك لما يحملانه من دلالة.

يا ساري البرق غادِ القصّر واسق به من كان صرف الهوى والود يسقينا

1- ديوان ابن خفاجة، تقديم كرم البستاني، المرجع السابق، ص 42.
2- صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 2009، ص 102.

ويا نسيم الصبا بلّغ تحيّتنـــــا من لو على البعد حيّا كان يحيينـا

- وبدأ إرسال الحمام إلى الحبيب أو ربوعه ليبلغه رسالة أو ليقوم برحلة خيالية بدلا عن الشاعر في العصر العباسي، وكان قبل ذلك البرق والسحاب والرياح، وحسب الدكتور يوسف حسين بكار كان ربيعة الرقي أول من التفت إلى الحمام في عصره حيث طلب إليه تبليغ رسالة إلى محبوبته على عادة الشعراء الذين كانوا يطلبون ذلك من السحاب والبرق والرياح ويحملونها رسائل إلى الأحبة والقبيلة التي ضمتهم وشهدت حبهم وتألفهم: " ومما امتاز به ربيعة أنه التفت إلى الحمام في عصره وطلب إليه أن يبلغ سلامه إلى محبوبته في العراق"[1]

- ومن هذا القول يتضح لنا أن الشعراء قبل وفي عصر ربيعة الرقي لم يكونوا يرسلون طير الحمام لأداء رسالة للحبيب، بل كانوا يرسلون رسلا أخرى كالنسيم وعطر الورد وأنه هو من ابتدى بإرسال الحمام.

حيث يقول قال ربيعة الرقي نقلا عن يوسف حسين بكار:

"يا ليت الحمام مسخرات لنرسل في رسائلنا الحماما

لعلّ حمامة تهدي إلينـا كتابا منك نجعله إمامــا[2]

1- يوسف حسين بكار، اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، دار الأندلس للطباعة والنشر، لبنان، ط2، 1981، ص 178.
2- المرجع نفسه، ص 178.

الفصل الثانـي:
الرّحلة في الشعر الشعبي

الرّحلة في الشعر الشعبي:

الرّحلة البدوية: وتسمى في الملحون البدوي –القطاعة- أو Guettaa أو Chanson de route وهي من أنواع الشعر الملحون البدوي مثل الزغوية والنم والقطاعة من المقطع (Gue) وقصيدة الرّحلة البدوية تذكر أماكن ومنتجعات الأحباب، وخيامهم، وموضع مصيفهم ومشتاهم ويمكن القول أن القطاعة هي استقلال لغرض وصف الرّحلة في المعلقات.

العرب مشهورون بكثرة الترحال إلى مسافات بعيدة وأثناء رحلاتهم يقومون بترديد القطاعة وهي أغاني الطريق أو هي قصائد الرّحلة من أجل نسيان مشاق السفر وبُعْد المسافة.

والموضوع نفسه منذ القدم لم يتغير هو قصة الرّحلة أو بالأحرى وصف لتلك الرّحلة يذكرون الأحداث والأماكن التي يمرون بها والتي يعيشون فيها. ويصفون ما تقع عليه أعينهم.

والرحلة هي السبب الرئيسي في هذه الأشعار والصحراء هي مصدر الإلهام للشعراء أي الصحراء هي التي دفعت الشعراء إلى قول أشعار غاية في الإبداع بما تثيره في أنفسهم لارتباط العرب بها.

"ويحاولون من خلال هذه القصائد تمرير رسائل"[1]بمعنى أن كلّ قصيدة تحمل رسالة تخلّد رحلة أو حتّى قبيلة أو فردا.

من بين كل أشعار العرب يندر أو يصعب إيجاد نص لشعر الرّحلة ويعود ذلك إلى كون الشعراء لا يقيدون هذه الأشعار بالكتابة بل يقولها في رحلة ما وهو يمشي وقد يتيح لقصيدة ما التداول مشافهة، وأي قصيدة يتيح لها هذا التداول يكون لها رواج خلال مدة معينة يتم تداولها بين الناس مما يجعلها معرضة لتغيير بعض المصطلحات والألفاظ وهذا راجع لكون بعض متداوليها يجهلون أسماء المناطق التي جاءت في القصيدة الأصلية، وهذا لا يقلل من أهميتها، ولا يحط من قيمتها إذا استثنينا أسماء المناطق التي لحقها التغيير، المعنى يبقى نفسه لا يتغير ولا يفقد الدلالة لأن الخلل يكمن في أسماء الأماكن والمناطق فقط ونتحصل بذلك على قصيدة نحبها لأنها تحمل معاني وأحداث حقيقية.

وهذا النموذج من قطاعة مشهورة في الجنوب الجزائري سمعها ألكسندر جولي من فم أحد رواة قصر الشلالة مصوغة بشكل جيّد، وسمعها أيضا من أفواه أناس آخرين ويبدو جولي ليس متأكدا من الكل. ولكن الأخير الذي سمعها منه هي الأفضل حيث يقول: " عندي شك وقلق من هذه المعلومات لأني لست متأكدا من صحتها، من خلال استماعي لهذه القصيدة من طرف عدة أشخاص شعرت بالاستياء لوجود اختلافات من شخص لآخر".[2]

ويضيف أن لديه حيرة أي منها هي المصدر الأصلي، حيث هي عبارة عن مدح موجه إلى امرأة متزوجة في سيدي بوزيد (بجبل عمور) ويصف رحلته إليها ويهدد زوجها في هذه القصيدة.

أنا في طيطري في بلادك يا سغوان

ونطالع للجبل غير بعينـــــي

1 - Alescandre Joly, Revue Africaine, Office des publication universitaire, Alger, 1900, p 298.

2 - Alescandre Joly, Revue Africaine, Office des publication universitaire, Alger, 1900, p 299.

- بمعنى أنه ينظر إلى الطرق الجبلية بعينه وليس خائفا بل متشوق للوصول إلى حبيبته التي تعيش في الأوطان القاسية لأنها مناطق جبلية بين الجبال الغربية.

من وحش الريم ألي جات في قاسي الأوطان

بين الكيفان في القصور الغربيـــــة

- يركب جواده يسير مع آذان الفجر دون شرب القهوة يقصد المدينة خلف بلاد الصوان، حيث يجد أفضل الخدم على جنب الطريق رفقت به وأخرجت له القهوة على السني (شبه مائدة تضع من النحاس) وفراش باهي الألوان يدل على حسن الخدمة وكرم الضيافة خدم يلبون ما يطلب صباحا ومساء يسهرون على راحته مثل المحاربين.

نركب على سابقي نسرح على الآذان

خذ القهوة على يمين الجرّايـــة

أقصد الفيلاج خلف بلاد الصّـوان

سين الأحباب رفقة بـــــي

خرّج القهوة على السّني وفراش ألوان

خدّام يحاربوا بصباح وعشيـــا

- ثم يحثّه على الانطلاق مع الفجر قبل طلوع الشمس (الدّماس) وقبل الحر وحين يصل إلى الفج وهو الطريق الواسع الذي يأخذ في الضيق وسط الصخور وهو شبه نفق ارتفع إلى الطريق الجبلي (الذراع) ويمشي متبّعا الطريق ثم اقناق وسير على القبور ومن ثم ذراع الشيخ ثم استغل الصحوان وزد في السرعة وانطلق كالسفينة البحرية تشق الموج شقا

بكّر في الدّماس قدّام الحمّـــان

والاك الفجّ أدهم أطراف الضايـــة

استرفد للذّراع وطريقك نيشـــان

من ثمّ اقناق وخذ على القبوريـــة

وزد ذّراع الشيخ وخذّ ذاك الصحوان

يدفع في السير كقلع البحريـــة

ثم يستطرد لوصف الخيل ومدحها لحظة قبل أن يستكمل وصف الرّحلة.

الخيل نزوة فرجّوا على آلي دهشان

ليضيف بعدها قطع النهر الكبير (شيخ الويدان) الذي يصف مصبّه في الشهبونية لينتقل بعد ذلك إلى سيدي القومان حتى يمضي الحر، ومع وقت الأصيل مع عودة اعتدال الجو يمضي من جديد في الرّحلة لأن في هذا الوقت لا تتعب الخيول، وحين يصل الشلالة يمضي الليلة هناك لأنها خير الأمكنة نصفي شيخ الويدان كاب في الشهبونية

في ورك نقيلو سيد القومـــان

محمد سيد ما ضنّت الزاويـــة

في برد الحال ما كان تعب للشهيان

في الشلالة نبات خيار ما في الدنيا

ثم ينزل إلى السفح في جبل الشلالة بحذر وهو يصف ويحذر من عدم الثقة في الناس (العديان)، بعد ذلك يقطع القرار وهو المكان بين الصخور ثم الوحاية ثم يصف وصوله إلى مكان مسكون لأنه شاهد النار في الغابات الشرقية في فيض ريغة أكبر تجمع للعرب أهلها أناس طيبين رحّاليين لكل مكان.

وهي الكاف ولا تامن شي العديان

أقطع ذاك القرار تلقى الوحّايـة

هذا مكبّ ساكن رب على الحسبان

بانت لي نار في الحرش الشرقيـة

فيض ريغة فايق مرسم العربـان

أهلها طايفين كل عقدة مشيعـــة

ثم يطلب من شخص أن يأخذ رسالة لهم تجدهم في الوسراية في القصر الشرقي الذي تعرفه بالغيم.

تدي خبري قل لهم هذا من عند فلان

تلقى الأحباب حاطّين في الوسرايـة

قصر الشرقي إليّ عليه الغيم إيبـان

ثم بعد الوصول إلى حبيبته مسعودة راية الغزّاية التي يأخذ بوصفها صاحبه أقراط الذهب وأطراف الريحان...

مسعودة فيه سنجاق الغزّايـــة

مولاة ونايس الذهب مطرف الريحان

في يد ملوك خالعين المصريـــة

ثم يصف لنا حاله وأن خاطره تحطم على ذاك الغزال ثم يطلب من صاحبه ألا يسأله على حاله لأنه حيران وقد شبّه ما يحدث له بالنيران النازلة على قلبه.

متحيطم خاطري على جدي غزلان

راني هسّيت والعقل مرّ علـــيّ

لا كن ما دريت شي ما بـــي

أنا قلبي نازل عليه النيـــران

ثم يعود إلى وصف حبيبته ويشبهها بالذهب وينفي أنه ما به ليس أشواق وعواطف مراهق سرعان ما تزول لكنه عاشق سيّدة الخاتم. لبؤة في الحسن والفتن صافية الخدين والعينين الساحرتين.

من هم سبيكة ذهب راش علـيّ

ماني طفل غير قلت عليك أشجان

تهموني بك قاع ما قلت خـوى

مثل أم البريم غير لبية في الفتان

ما لك مثيل يا صافي الخدّيــة

تدّوك ذراع وأشحان على الأعيان

شرح القصيدة:

يا الورشان:

هي من القصائد التي يتجلى فيها شوق الشاعر لزيارة البقاع المقدسة، حتى أنه قام برحلة خيالية إلى هاته البقاع، ووصفها ذهابا وإيابا ضمن هذه القصيدة، وهو في ذلك سلك مسلك القدامى حين يرسلون الرياح والطيور والحمام لأداء رحلة بدلا عنهم لزيارة ربوع المحبوب، بحيث قام الشاعر بتكليف طائر الورشان (وهو نوع من الحمام) بأداء رحلة إلى البقاع بدلا عنه، بدأها من تلمسان موطن الشاعر في الغرب، مرورا بالعاصمة وبعض البلدان العربية الأخرى، وصولا إلى الحجاز مع زيارة مقامات الأولياء والصالحين حيث بدأ القصيدة بحث الورشان على قصد طيبا وأوصاه بالتوكل على الله والانطلاق من باب تلمسان غربا وزيارة قطب العبّاد وسيدي السنوسي، وكل أولياء تلمسان، ويحث طائره على التشريف للقبلة، والاتجاه نحو مستغانم مرورا بتسالا، كما يطلب منه أن يبلغ سلامه لأهل مستغانم وهذا يدل على شوق الشاعر وحنينه إلى ربوع وطنه

وأولياءها مثل سيدي عابد، ثم الانطلاق والنزول بواد الفضة بعدها قطع الشلف بمساماة الأجراف وهو يتمنى أن يصل طائره إلى هدفه، بعد هذا يطلب الشاعر من طائره زيارة مليانة وداخلها وإحصاء كل أوليائها وقضاء ليلته هناك قبل مواصلة رحلته باتجاه متيجة ثم البليدة ويوصيه ببوفاريك مع اتخاذ الحيطة والحذر وتفادي الصعاب ثم يذكر الكثير من المدن والأماكن مع إبراز سمة كل منطقة، الجزائر، عمال، قسنطينة.

قم كي تنحل البيتـــان الجزاير أدخل فرحان

شف سيدي عبد الرحمان براكته تتنفع بيــها

ثم يأمر ورشانه حين دخوله تونس بزيارة الباجي وابن يونس وقضاء ليلة عندهم، ثم زيارة مخمر ابن عرفا مع أخذ الحيطة كما ذكر بعض البلدان العربية مثل: طرابلس، مصر، برقة.

أدخل مصر وفيها اختار في الحسنين دار أكريها

كما يطلب منه أن يتفقد بعض مناطق مصر ويحثه على المداومة على حضور المجالس:

انزل مجاور يا صـاح عندهم تتهنى ترتـاح

زرهم كل مسا وصباح والمجالس لا تخطيها

كما يصف انطلاق مركب الحجاج قاصدين مكة رجالا ونساء وطائره من بينهم وهذا يدل على أن الشاعر متلهف لزيارة مكة، ثم بعد هذا يبين له كيفية التنقل من مكان إلى مكان إلى أن يصل إلى مكة.

عند وصوله مكة يبين له كيفية الحج ومراحله بداية بالإحرام والنيّة:

قم يا طيري أرحل واعزم أوعد الرّابع فيها أحرم

جرّدا ثيابك واتقـــدم أقصد الوقفة وأنويـها

ثم مباشرة البيت وبداية الطواف مع لمس الحجر الأسود، ثم الوقوف بجبل عرفة، وطواف الإفاضة.

قم يا طير أرحل لمنى بعد الطواف بلا منّة

الإفاضة فرض علينا زيد للعمرى اختم بها

بعد ذلك يصف الشاعر الفرح والسرور الذي سيناله الورشان وهو بين جمهور الحجاج، وفي الأخير يتحدث عن زيارة يثرب وقبر الرسول (ص) وابنته فاطمة الزهراء.

أدخل على الباب تنادي أقصد أحمد سيد سيادي

بعد الزّورة يا مرادي البتول ما تنســاهـا

كما يحثه على اغتنام الزيارة والاستمتاع بالمناظر، ويشير أن هدفه من هذه الرّحلة هو غسل ذنوبه وكسب الغفران.

ثم يطلب من طائره بعد إتمام الرّحلة العودة مباشرة وبسرعة إلى تلمسان لكي يتباشر أهلها وتقام الأفراح لأنه متلهف لأداء الرّحلة والفراغ منها ومتشوق لتلمسان موطنه.

كما نلاحظ أن ابن مسايب ذكر اسمه في نهاية القصيدة كعادته في كل قصائده وهذا بمثابة إمضاء منه.

دراسة قصيدة يا الورشان

I- المستولى الدلالي:

بنى الشاعر رؤيته في القصيدة على ثنائية تكاملية وهي ثنائية الحركة والشوق والتي تتجسد في حقلين دلاليين أساسيين هما: حقل الحركة وحقل الشوق:

حقل الألفاظ الدالّة على الحركة	حقل الألفاظ الدالّة على الشوق
أمشي، رفرف، سر، زر، أخرج، ارجع، سريح، أقصد، طف، جوز، قم، طر، انزل، أقطع، رايح، تدخل، توصل، بكّر، انطلق، قامت، روح، زيد، مشيك، تقدم، ارحل، تقضي	تتباشر، الشوق، الفرقة، مونس، ما صبرت، صبر، عقلي، القلب، مشروح، زهو، أفراوح، سرور، باشر، للقاك، ننسقى، الوعد، الزورة، العين، عجلان، القبلة، قصّر، سلامي، دمعتك

ونستخلص من هذين الحقلين أن الشاعر قد استعمل ألفاظا مشحونة بعاطفة قوية سواء كانت هذه الألفاظ دالّة على الحركة أو كانت دالّة على الشوق.

فالألفاظ الدالّة على الحركة تعبر عن الرّحيل أو اللهفة للقيام بالرحلة التي بدأها الشاعر من أجل الوصول إلى البقاع المقدسة فقد استعمل الشاعر لوصف رحلته ألفاظا تعبر عما يخالجه من لهفة وحنين فقد كان يحث ورشانه في كل لحظة على الإسراع في الوصول.

أما الألفاظ الدالّة على الشوق فهي توحي بشوق الشاعر لزيارة البقاع المقدسة، كما أنها تعبّر عن حالة من نفاذ الصبر وتمكن الحنين والشوق منه.

وبالتالي يمكن القول أن الرّحلة تمثل لأغلب الشعراء رمزا للشوق والحنين ففي أغلبها رحلات شوق إلى ربوع المحبوب أو الأماكن المقدسة.

نلاحظ ورود بعض الألفاظ غير الشائعة الاستعمال في الوسط الاجتماعي، هو ما أدّى إلى غموضها: دخيل، يلّل، يهوطل، شاين، الغرار، باطينك، حهاليها.

جاءت عبارات القصيدة واضحة، سهلة الفهم، لا يحتاج القارئ للكثير من التمعن لفهمها، كما تراوحت هذه العبارات بين الطول والقصر.

جاءت العبارات مناسبة للغرض ألا وهو وصف رحلة إلى البقاع المقدسة حيث اختار الشاعر تعابير تنضح بشوقه إلى تلك الأماكن، كما أنها تعبر عما يخالج نفس الشاعر من لهفة وشوق، فقد كان يحث طائره على العجلة في الوصول ويرشده إلى الطريق المناسب.

الأسلوب:

غلب على القصيدة الأسلوب الإنشائي فقد ورد أسلوب الأمر والنهي، والنداء لأن الشاعر نوّع فيه بتنوع الأغراض التي خرج إليها مثال:

أقصد طيبا: أمر حقيقي.

يا الورشان: نداء غرضه لفت الانتباه وجلب الاستماع.

بالك أتهلا يا الورشان: نداء غرضه الإرشاد والنصح.

لا تخمم في أمر الغيبا: نهي غرضه النصح والتنبيه.

فيدوني نرتاح: أمر غرضه طلب الإفادة.

أحد ما تقرى فيه أمان: نهي غرضه النصح.

الأمر الذي يفسر كثرة أفعال الأمر والطلب والنهي هو وجود نموذج عاملي مبطن في القصيدة وهو:

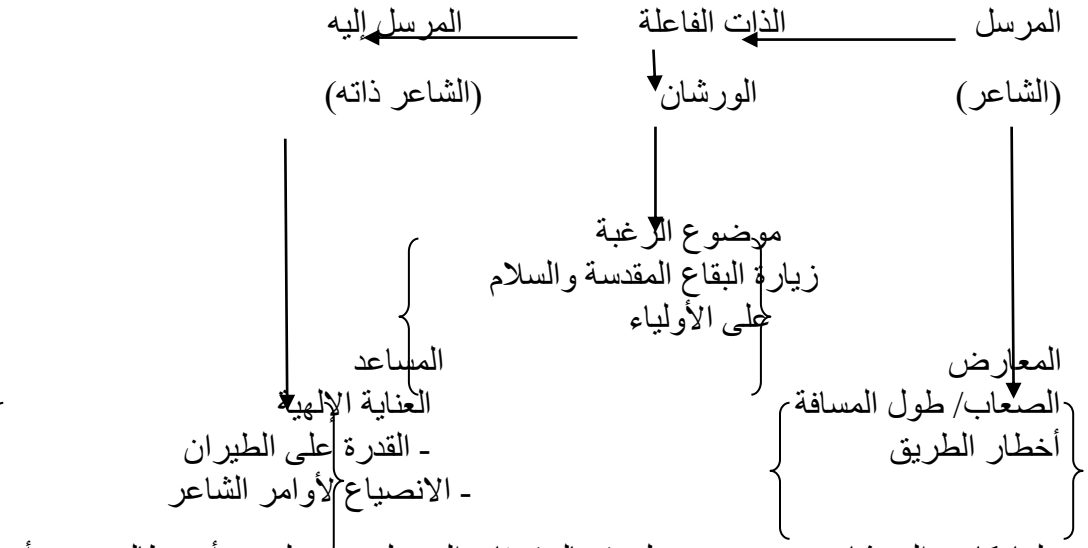

ولما كان "الورشان" مجرد مرسول (خيالي) فإن المرسل سمح لنفسه أن يطالبه بعدة أمور من خلال جملة من الأوامر والطلبات والتوسلات، وكلها أساليب إنشائية.

أما الخبر فقد ورد باب السرد والوصف فقط.

II- المستوى التركيبي:

1- الأفعال: من خلال دراستنا لهذه القصيدة تبين لنا أن الشاعر استعمل ثلاثة أزمنة للأفعال بنسب متفاوتة.

- زمن الفعل الماضي.

- زمن الفعل المضارع.

- زمن الفعل الأمر.

- ويمكن توضيح ذلك فيما يلي:

أ- زمن الفعل الماضي: استعمل الشاعر 23 فعلا في زمن الماضي منها، راح، ملكت، جيت، كنت، طال، كانت، ذاق، انطلق، طبل، سمعت، قامت، لمت، اتفقت، مالت، صبرت، طارت، بقات، عرفت...الخ

ب- أفعال زمن المضارع: استعمل الشاعر 78 فعلا في زمن المضارع منها: تقضي، تهوم، تروح، تصبح، يرجاك، ندي، تنده، يتبارك، تمسك، يخيبه، تتباشر، يركب، نرسل، تقرأ، رايح، نوصي، تحصي، يلقى، تدخل، تنحل، تتنفع، تخاف، يزول، يداوي، يذوق، يقدر، يكون، يسقيك... وغيرها.

ج- أفعال زمن الأمر:

استعمل الشاعر في هذه القصيدة 185 فعل في زمن الأمر، منها: أقصد، زر، أعزم، خذ، تهلا، سر، زيد، قل، وادع، سير، قصّر، بات، أمشي، أصبح، جوز، طر، انزل، ميز، أوعد، عمد، أقطع، سامي، أتهدف، بيت، استخبر، أدخل، رفرف، هيأ، قم، أرجع، اطلع، أخرج، أتيقن، أتمتع، أبلغ، أرحل، اغتنم، صلي، سلم، أطعن، جرد، شف، استمسك، انوي، قوم، تقدم، باشر، طف، تبع...الخ.

ومن خلال إحصاء الأفعال الواردة في القصيدة نلاحظ أن الشاعر استخدم 286 فعل موزعة على الأزمنة الثلاثة ماضي، مضارع، وأمر.

كما نلاحظ أن أفعال زمن الأمر أخذت حصة الأسد في القصيدة على حساب نظيرتها المضارعة والماضية.

فأفعال الأمر استعملها الشاعر للدلالة على الشوق واللهفة ولاستعجال فهي تعكس نفسية الشاعر المتشوقة لزيارة البقاع.

أما الأفعال المضارعة فهي تحمل دلالة إرشادية من الشاعر لطائره مثل نوصيك، تخمم، تحدث، نرسلك، تزور...

2- الجمل: أكثر الشاعر من الجمل الفعلية والتي غلبت على القصيدة بشكل واضح، فقد وردت 121 جملة فعلية في القصيدة مقابل 116 جملة اسمية وهذا ما يضفي على القصيدة نوعا من الحركية.

3- حروف الجر والعطف:

استعمل الشاعر ابن مسايب في قصيدته الورشان حروف العطف وحروف الجر من أجل إصابة المعاني التي يريد التعبير عنها.

أ- حروف العطف: تزخر القصيدة بحروف العطف فقد أكثر الشاعر من استعمالها خاصة حرف العطف"الواو" الذي استعمله 79 مرة أي بنسبة مهيمنة على القصيدة.

مثال ذلك:

قم يا طير **وادخل** تونس زر الباجي **وابن** يونس

وفي قوله:

جرد ثيابك **وأتقـــدم** اقصد الوقفة **وانويـــها**

وفي قوله أيضا:

بات يا طير مع الجمهور في زهو **و**افراوح **و**سرور

كما أنه استعمل حرف العطف **"ثم"** مرتين مثال ذلك:

قم قبل الفجر **و**بكّر **ثم** تخرج ساع لواجــر

ب- حروف الجر: استعمل الشاعر حروف الجر بكثرة لما لها من علاقات دلالية ومن حروف الجر التي استعملها على استعملها 9 مرات، في استعملها 18 مرة، من استعملها 17 مرة، اللام استعملها 7 مرات، الباء استعملها 8 مرات ويظهر ذلك في قوله:

نرسلك **من** باب تلمسان سر **في** حفظ الله والأمـان

أيضا:

قم من ثم أمشي دباب **على** يمينك واصبح رقاب

راه سيدي عابد **في** الباب قـبته جـوز توليــها

وأيضا:

أخرج **على** الباب عشية انزل الدّيـار المنشيــة

III- الصورة الشعرية:

تعتبر الصورة الشعرية نتاج الخيال، وهي عنصر مساهم في تقريب المعاني بالإضافة إلى أنها تعدّ عنصرا تجميليا يضفي على القصيدة رونقا وجمالا باعتبارها تؤدي دور كبير في نقل المعاني التي يرمي إليها الشاعر بالاشتراك مع اللغة الشعرية والموسيقى.

أما في الشعر الشعبي فالحديث عن الصورة الشعرية يلاحظ أن متلقي القصيدة سرعان ما يكتشف التعبير المجازي لأنه قريب من لغته اليومية.

« فالإنسان الشعبي البسيط يترع إلى الكناية والاستعارة في كثير من الأحيان في سياق الكلام...».[1]

وهذا يدل على أن الصورة الشعرية منتشرة في الشعر الشعبي وليست حكرا على الشعر العربي الفصيح.

ومن خلال قراءة القصيدة نلاحظ أن الشاعر استخدم الكناية والاستعارة على حساب التشبيه.

1- التشبيه: لم يرد في القصيدة إلا تشبيه واحد وهو:

امش كالريح، وهذا ما يدل على أن الشاعر قد عبّر عن شوقه لرحلته إلى البقاع المقدسة مما جعله يستغني عن التشبيهات وكأنه يصف حقيقة زيارته إلى البقاع.

1- أحمد قنشوبة، الشعر الغض، اقترابات من عالم الشعر الشعبي، منشورات الرابطة الوطنية للأدب الشعبي، الجزائر، ص 125.

2- الاستعارة: وهي عبارة عن تشبيه حذف أحد طرفيه، أي أنها لفظ استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

وقد وردت الاستعارة في القصيدة بكثرة وهي:

1- قل لهم: استعارة مكنية حيث شبّه الطائر بالإنسان ثم حذف المشبه به وترك لازمة من لوازمه وهي القول أو الكلام.

2- كفيف الوعد: استعارة مكنية حيث شبّه الطائر بالإنسان ثم حذف الإنسان وأبقى لازمة من لوازمه وهي الإفاء بالوعد.

3- لا تخمّ: استعارة مكنية حيث شبّه الطائر بالإنسان ثم حذف الإنسان وأبقى لازمة من لوازمه وهي التفكير.

4- اكتم أسرارك: استعارة مكنية حيث شبّه الطائر بالإنسان ثم حذف الإنسان وأبقى لازمة من لوازمه وهي كتمان السر.

5- جرّد ثيابك: استعارة مكنية حيث شبّه الطائر بالحاج ثم حذف الحاج وأبقى لازمة من لوازمه وهي تجريد الثياب.

6- طف يا طيري: استعارة مكنية حيث شبّه الطائر بالإنسان الحاج ثم حذف هذا الإنسان وترك لازمة من لوازمه وهي الطواف.

7- أدخل على الباب اتنادي: استعارة مكنية حيث شبّه الطائر بالإنسان ثم حذف الإنسان وأبقى لازمة من لوازمه وهي النداء.

8- امشي دبّاب: استعارة مكنية حيث شبّه الطائر بالإنسان ثم حذف الإنسان وترك لازمة من لوازمه وهي سرعة المشي.

9- قم كي تنحل البيتان: استعارة مكنية حيث شبّه الطائر بالإنسان ثم حذف الإنسان وأبقى لازمة من لوازمه وهي القيام.

10- جلوسك: استعارة مكنية حيث شبّه الطائر بالإنسان ثم حذف الإنسان وأبقى لازمة من لوازمه وهي الجلوس.

3- الكناية:

تلعب الكناية دورا كبيرا في تعميق الفكرة وإثراء الدلالات وخصوبتها إضافة إلى إعمال فكر المتلقي منها نجد:

1- صبر عقلي راح: كناية عن نفاذ الصبر.

2- قبل طلوع الزهرا: كناية عن التبكير.

3- قبل طلوع الغرار: كناية عن التبكير.

4- خمور الود: كناية عن الحب والشوق.

5- طيّب الأنفاس: كناية عن براءة النفس.

خلاصة:

في الأخير نشير إلى أن الشاعر سار على عادة الشعراء الجاهليين حيث يزجرون الطير والغمام والبرق، ويحملونها السلام لديار الأحبة، وهذا ما يفسر الاستعارات والكنايات الواردة في القصيدة.

IV- المستوى الإيقاعي:

"هو الذي يتناول فيه الدارس ما في النص من مظاهر الإتقان الصوتي ومصادر الإيقاع وفيه من ذلك النغمة والنبرة والتكرار والوزن، ما بيّنه المنشئ من توازن وتوازي السمع والحس".[1]

والإيقاع الموسيقي نظام قائم على التناسب بحيث تتوزع الأدلّة الصوتية على طول المعطى الإيقاعي بشكل يراعي فيه البعد الزمني بين متحرك وساكن يتكرران بعدد دقيق وزمان محدد إلى النهاية.

"وهذا الإيقاع نحو الأمام لا يتوقف في القصيدة العمودية إلا بوصول الوحدة الإيقاعية الكبرى ثم يحركها عنصر التكرار فلا يتوقف إلا بانتهاء الوحدة الإيقاعية الموالية لها وهكذا إلى نهاية النص".[2]

ولموسيقى الشعر أهمية عظيمة في التأليف بين الصورة الشعرية وتكوينها إلى جانب وظيفتها في تبليغ المعنى " الموسيقى فن فطري غريزي ومنذ كان الإنسان كانت الموسيقى في الطبيعة، في غناء الطير، في حفيف الأوراق، في وقع المطر، في هدير الأمواج في مناغاة الطفل كل شيء كان ينضج بالموسيقى، وهذا النشوء الفطري خلق عند الإنسان إحساسا غريزيا بجمالها وتفوقا طبيعيا بجمالها".[3]

أ- البحر الشعري:

إن اختيار الوزن له وظيفة أسلوبية تتجلى في علاقة الوزن بموضوع القصيدة ومضمونها، ومن هنا كان الوزن شيئا واقعا على جميع اللفظ الدال على المعنى، فاللفظ والمعنى والوزن تأتلف فيحدث من ائتلافها بعضها إلى بعض معان.[4]

إن الشعر الفصيح الذي وضع له الخليل أوزانه الشعرية أخذت منه وتشابهت معه الأوزان في الشعر الشعبي، ولعلّ أكثر الأنظمة شيوعا هو النظام المقطعي والذي يعتمد على حساب عدد المقاطع في كل بيت شعري، ونسبة ذلك النظام إلى عدد المقاطع كأن نقول سباعي وعشري وعليهما تبنى باقي الأوزان.

1 - إبراهيم خليل في النقد والنقد الألسني، دار الكندي للنشر والتوزيع، عمان، 2002، ص 155.
2 - فريد تابتي شعرية القصيدة الجزائرية بعد 1980، رسالة ماجستير 1996، 1997، ص 09.
3 - عبد المجيد جيدة، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل للنشر، بيروت، ط1، 1980، ص 352.
4 - عبد اللطيف شريفي، محاضرات في موسيقى الشعر العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 80.

والقصيدة التي اخترناها هي قصيدة مشهورة يتجلى فيها شوق الشاعر لزيارة البقاع المقدسة، وهي مشكلة من أبيات مزدوجة الأسطر على شاكلة القصيدة التقليدية، وهي أشطر متساوية المقاطع ينفرد فيها الشطر الأول بقافية وروي خاص، والشطر الثاني بروي مغاير أحيانا ويتفقا في الروي والقافية أحيانا أخرى.

والقصيدة تملك بنية داخلية خاصة بها فهي مترابطة الأجزاء لا يمكن التقديم والتأخير فيها لأن الشاعر بصدد وصف رحلة فالأبيات مترابطة دلاليا وإيقاعيا وتشكل كل مترابط.

أما البحر الذي تنتمي إليه القصيدة هو: المشرقي.

وهو من أوزان الطبقة الأولى في الشعر الشعبي

« والمشرقي هو كل وزن مدّ أوله وسابعه أو أوله وسابعه وثامنه »[1] جاء وزنه سباعي.

تقطيع الأبيات الشعرية:

يا الورشان أقصد طيبا	زُرْ فاقد مرسم شيبا
يَاْ لْوَرْشَانْ أُقْصُدْ طَيْبَاْ	زُوْرْ فَاْقِدَ مَرْسَمْ شِيْبَاْ
0/0/0/0/00/0/00/	0/0/0/0/0/0/0/00/
ط س ط س س س س	ط س س س س س س
مافعولان مفعولاتن	مافعولن مفعولاتن

2- نرسلك من باب تلمسان سير في حفظ الله والأمان

نَرْسْلَكْ مَنْ بَاْبْ تْلَمْسَاْنْ
00/0/0/0/0/0/00/
ط س س س س ط
ما فعولن مفعولاتان
سِيْرْ فِيْ حَفْض لْلَلَهْ ولْاْمَاْنْ
/0/0/00/ 00/0/00 /00
ط س س ط س ط ط
ما فعولن مافعولن فعل

3- بات زاهي وأصْبَح مسرور بين مَاْ ومنازه وقصور

بَاْتْ زَاْهِيْ وَصْبَحْ مَسْرُوْرْ
0/0/00/ 00/0/0/0/
ط س س س س ط
مافعولن مفعولاتان

1 - مصطفى حركات، الهادي إلى أوزان الشعر الشعبي، دار الآفاق للنشر والتوزيع، ص 83.

بَيْنْ مَاْ وَمْنَاْزَهْ وَ قْصُوْرْ

00/0/ 0/0/ 0/0/00/

ط س س س س ط

مافعولن مفعولاتان

القافية:

هي مجموعة أصوات تكوّن مقطعا موسيقيا، يعتمدها الشاعر في البيت الأول، ثم يكررها في نهايات أبيات القصيدة.

فالقافية حسب تعريف الخليل نقلا عن عبد الرضا علي "هي ما بين آخر حرف من البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن"[1]

- فالقافية تعد مظهر من مظاهر الشعر الشعبي كما عدت وتعد مظهر من مظاهر الشعر العربي الفصيح، فالشعر الشعبي وافق الشعر الفصيح في القافية وبنيتها عموما.

- ومن خلال دراستنا للقصيدة لاحظنا أن القوافي جاءت متنوعة في رويها وبنيتها فجاءت مطلقة ومقيدة.

1- القافية جاءت مطلقة:

والقافية المطلقة هي التي يكون حرف الروي فيها متحركا بالضم أو الفتح أو الكسر أو قد تنتهي القافية المطلقة بحرف مد ناتج عن إشباع حركة الفتحة أو الضمة أو الكسرة ويتضح ذلك من خلال:

شيبا ← شيباْ ، بها ← بيها ، فيها فيها ←

0/0/ 0/0/ 0/0/

تحْصِيْهَاْ ← صيهَاْ ، لِيْهَاْ يْهَاْ ←

0/0 0/0

بيْهَاْ ← بيها، يَحْضيْهَاْ يَهَاْ ←

0/0 0/0/

2- القافية جاءت مقيدة:

القافية المقيّدة هي القافية التي وقع فيها الروي ساكنا في آخر الشطر، ونبين ذلك من خلال:

عليك ← عْلِيْكْ

00/

1- عبد الرضا علي، موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه، دراسة وتطبيق في شعر الشطرين والشعر الحر، دار الشرق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1997، ص 168.

الأمان ←مَأْنْ

00/

التوحِيْدْ ←حِيْدْ

00/

رَاْحْ ←رَاْحْ

00/

الديْرْ ←دِيْرْ

00/

جْدّاد ←دَاْدْ

00/

يْهَوْطَلْ ←وْطَلْ

0/0

رْقَّاْبْ ←قَاْبْ

00/

الروي:

الروي هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة، وفي الشعر العربي الفصيح تنسب إليه القصيدة فيقال لامية وميمية، والروي إذا كان متحركا يسمى مطلقا أما إذا كان ساكنا مقيدا، ومن خلال دراستنا للقصيدة وجدنا أن الروي جاء متنوع ويظهر هذا في كل قوافي القصيدة.

حرف الروي الهاء: جاء في معظم أبيات القصيدة مطلق مثل: بهَا، فيهَا، يحصيهَا، أبيهَا، يحضيهَا، تواليهَا، ألجيهَا، مْعَهَا، داخلها، تعْطيها، انزلهَا، وورد مرتين مقيد/ مْوَاليهْ، بِهْ.

حرف الروي الباء: جاء في القصيدة ثلاث مرات مرتين مقيد في رْقَاْبْ، المغيبْ، ومرة مطلق في شيبَاْ.

حرف الروي الكاف: جاء مقيد في كل القصيدة ما عدا مرة واحدة ورد مطلق مثل حركه، عليكْ، بوفاريكْ، يسقيكْ، اهْلَاكْ، للكَافْ.

حرف الروي النون: جاء مقيد ما عدا مرة واحدة ورد فيها مطلق في منَه، ومقيد مثل: الأمَاْنْ، فْلَانْ، خَلوانْ، فَرْحَاْنْ، أمَاْنْ، تْوَطَنْ، نشطَانْ، تْلَمْسَاْنْ.

حرف الروي الدال: جاء مقيد ما عدا مرة واحدة في سْيَاْدِي، التَوْحِيْدْ، جْدَاْدْ، المسْعُوْدْ.

حرف الروي الحاء: ورد كلّه مقيد: رَاحْ، ارْتَاحْ، صْرِيْحْ، مَشروحْ، تْلُوحْ، تَرْتَاحْ، كالريْحْ، المشروحْ.

حرف الروي الراء: جاء مقيد في معظم أبيات القصيدة مثل: الدِيْرْ، زَكَّارْ، لَوَاجرْ، قْصُورْ، قفارْ، سرورْ، هَبْرَا، الحمْرَا.

حرف الروي اللام: جاء مقيد في كل الأبيات التي ورد فيها مثل: يَهَوْطل، عْمَالْ، المَحْمَلْ، غَلْغَالْ.

حرف الروي الضاد: جاء مطلق في مرة ورد فيها: تَرْضَا.

حرف الروي الفاء: جاء مطلق مرتين ومقيد خمس مرات مثل: عَرَفَه، العطافْ، تَلْهَفْ، الكَافْ، عرفا، الأشراف.

حرف الروي السين: ورد مقيد: يونسْ، القرْطاس.

حرف الروي الياء: ورد مطلق: المنشية.

حرف الوصل: وهو الحرف الذي يلي الروي في القافية المطلقة وقد ورد حرف الوصل في هذه القصيدة وهو حرف الألف الذي لا يكون إلا إذا قبله فتحة وقد جاء في أبيات القصيدة على شاكلة: الجيها، اكريها، ساميها، الحمرا، تخطيها.

- كما ورد حرف الوصل الياء مرة واحدة: في سيادي لإشباع كسرة الدال.

خاتمة

خاتمة:

شعر الرحلة كغيره من أغراض أشعار العرب، صارع من أجل أخذ مكانة في القصيدة العربية، لينمو بعدها ويتطور حتى أصبح في قصائد خاصة به، اكتست بلون العصر وعايشته وعبرت عن ظروفه.

فشعر الرّحلة يمثل لأغلب الشعراء رمزا للشوق والحنين فهو في أغلبه رحلات شوق إلى ربوع المحبوب أو الأماكن المقدسة أو هي فخر بالذات وحب المغامرة.

وقد خلصنا في بحثنا المتواضع إلى نتائج وخصائص شعر الرّحلة في كل عصر:

1- في العصر الجاهلي: غلب عليه طابع الشكوى والعتاب لأنه كان يأتي كامتداد للمقدمة الطللية واقتفاء أثر المحبوبة بعد رحيلها.

2- في العصر العباسي: غلب عليه طابع الحلم وتضمينه الآمال ففي هذا العصر بدأ إرسال الحمام إلى ربوع المحبوب وتحميله السلام في رحلة خيالية.

3- في العصر الأندلسي: تنوع بين عتاب وشكوى وغلب عليه الوصف لأن شعراء هذا العصر تأثروا بالطبيعة أوغلوا في الوصف حتى في شعر الرّحلة.

* أما في الشعر الشعبي الجزائري فتميز بالشوق كما ضمنه الشاعر أبعادا جديدة تلائم الطابع المحلي البدوي حينا والحضري حينا آخر، وكانت الرحلة البدوية "القطاعة" استمرارا تاريخيا للرحلة الجاهلية كما وردت في المعلقات.

أما الرّحلة الحضرية، فقد كانت تعبيرا عن الشوق إلى الحارات والأزقة والمرافق (مساجد، أضرحة، أسواق...) التي تعج بها كبريات الحواضر مثل: تلمسان، والعاصمة، ووهران....

كما أن شعر الرّحلة قد فتح المجال لكي تجود قرائح الشعراء بأروع القصائد التي تعالج موضوع الاغتراب والفراق والشوق إلى الديار والأحبة.

- كما تميز شعر الرّحلة بعدة أمور منها:

- يصور جانبا من جوانب النفس الإنسانية.

- يرسم معالم تطور الفن الوصفي عند العرب عبر العصور المختلفة.

- أنه ذو طابع غنائي لأن الموسيقى توقظ الشعور وتحرك الوجدان لأنه كان يقال أثناء الطريق ومن هنا سمي بأغاني الطريق.

- غلبة الأسلوب الإنشائي في شعر الرّحلة باستثناء المشاهد الوصفية.

- عبارة عن وثيقة هامة تدرس من خلالها الرّحلة والأسفار كما صورها الشاعر.

- تطرق إلى أشكال المسالك المختلفة وأنواع الرحلات وأهدافها.

- يقدم خدمة جليلة وفائدة عظمى في الحفاظ على الموروث العربي ويساعد في الحفاظ عليه من الضياع (تقاليد وعادات الرّحلة).

- أما بالنسبة لشعر الرّحلة في الملحون الجزائري فقد اختص بـ:

خاتمة:

- ارتباط الشاعر الجزائري بتراثه العربي ملونا إياه بطابع محلي يا الورشان، يالقمري، بدل ليت الحمام، ويابرق.

- يتجلى فيه مظهر من مظاهر البراعة الجزائرية التي أبدعت في هذا اللون الشعري.

- أما فيما يخص الشاعر ابن مسايب فإنه تميز بجملة مميزات:

- ذكر اسمه الكامل في الدور الأخير من القصيدة وهو بمثابة توقيع يوحي بهوية الشاعر.

- أولى أهمية فائقة للإيقاع والوزن واعتمد بحر المشرقي الملائم للغناء وهو من الأوزان الخفيفة.

- كان للشعر العربي القديم أثر كبير في شعره على مستوى الموضوعات.

وفي الختام يبقى الموضوع مفتوحا للبحث من كل جوانبه وبكل ما يحتويه من تشويق في تراثنا الشعبي.

ملحق

يا الورشــان:

يَاَ الْوَرْشَانْ أُقْصُدْ طِيْبَـاَ زُرْ فَاَقَدْ مَرْسَمْ شِيْبَـــاَ

لاَ تْخَمَّمْ فِي أَمْرِ اِلْغِيْبَاَ وُ لاَ تْحَدَّثْ نَفْسَكْ بِهَـــاَ

يا الورشان اعزم بمشيك التكل على الله وعليــك

ذا الوصاية بها نوصيك خذها وتهلا فيـــها

نرسلك من باب تلمسان سر في حفض الله والأمان

بعدما تزور بلا تمنـان كل من هو والي فيــها

زر قطب العباد وزيــد للسنوسي مولى التّوحيــد

ولا تخلّي في أهل الله سيّد كلها واجب تحصيـــها

قل لهم جمع الصــلاح ما ملكت صبر عقلي راح

جبتكم فيدوني نرتــاح سرحوني نمشي لــيها

قل لهم يا أهل الديــوان رغبتكم أنا طير فــلان

سرحوني لها عجــلان دخيل بالزهرا وابيـــها

وادع أهل التصريف وسير شرّف للقبلة خذ الديــر

صاحب الحكمة والتّدبيـر يمنع من النفس ويحضيها

قصّر اليوم يا كفيف الوعد بات ليلة واصبــح جدّاد

سير يا ورشاني وكــاد تاسّالا جوز عليـــها

قم قبل طلوع الزّهــرا اقطع اتليلات وهبـــر

لمستغانم سلامي تقــرا حتّى للقلعة بحصنـــها

ودها يسمـــى يلّل تحتها بمياه يهوطـــل

على ارحيها ديما سايل رايح لا من يلقـــاها

قم من تم أمشي دبّــاب على يمينك واصبح رقّاب

راه سيدي عابد في الباب قبته جوز تواليهـــا

قابله وانظره لحظـــة شاين يعطيك أنت ترضا

طر وانزل واد الفضّــة ميّز الأرض وزيد معها

ميّز الأرض واصبح شوّاف عمّد قبّالة للعطّـــاف

اقطع اشلف سامي الأجراف بات من هذيك الجيــها

من المشروع اتهــدّف وزيد من تمّ لا تلهـف

زر سيدي أحمد بن يوسف شف مليانة وداخلــها

قم من قبل طلوع الغرار أوعد المدفون في زكّـار

باش تدخل عنده للــدار زيارته لابد تعطيهــا

رفرف يا طير أمش عجلان باش توصل لبو خلـوان

بات مكروم على الأمــان عند ناس بلادك فيــها

قم قبل الفجر وبكّــر تمّ تخرج ساع لواجـر

شف امتيجة واستخبــر البليدة بيّت فيـــها

زر مولى صاك نوصيك طر من بعد لبوفاريــك

بالك الدّرك على جنحيك ادخل بلاد الجير انزلـها

بات زاهي واصبح مسرور بين مآ ومنازه وقصـور

خذ وعدة سيدي منصـور قبل الأ تدخل هيــأها

قم كي تنحل البيتـــان الجزاير أدخل فرحــان

شف سيدي عبد الرّحمان براكته تتنفع بهـــا

ليلة الجمعة اطلع للشّيخ نرسلك إذا كنت صريـح

تورخ منازلها توريـــخ واعرف الدّار وارجع ليها

ادخل مزغنّة يا صـــاح عندهم تمتع وارتــاح

تنسقى من كيســان الرّاح من خمور الوّد اسقيــها

قم يا طير جلوسك طــال طر وانزل في جبل عمال

اخرج مع البيبان وســال حوز مجانة خلّيـــها

أخرج من قصر الطير وروح وابلغ قسنطينة مشـروح

مع باب الله أدخل مفتــوح كلها الناس تراعيــها

قم يا طير وامناش تخــاف ريّح النّفس وامش للكاف

عندهم الأدب ظـــراف يعجبك صوت أمواليـها

قم يا طير وادخل تونــس زر الباجي وابن يونـس

تبات طول الليل مونّــس بهم النّفس تسليـــها

اخرج على الباب واستخفـا للمخمر ابن عرفـــا

بزيارته باطينك يصفـــا كل هم يزول عليهـــا

بالك تهلا يا ورشـــــان احد ما تقرى فيه أمـــان

كيف كانت نجع العربـــان جوز زور وخلّيـــــها

خلّي الصّحرا في هملتهـــا زيد لطرابلس ادخلـــها

انظر هواها وشغلهـــــا وكيف تاويل مواليـــها

اخرج على الباب عشّيـــة انزل الدّيار المنشيـــة

قم يا ولد الطّوبيّـــــة انزل احداها ساميـــها

أتنبّه يا طير واتيقّـــن فاقد المنازل وتوطّـــن

وشف يا ظريف المفطـــن امنين تاخذ وماجيـــها

تبّع طريق الرّكـــب وروح دمعتك فوق الخد تلـــوح

والدليل مليّع مقـــروح ليعته واش يداويـــــها

امر الفرقة وامر الشـــوق والهوى من لا ذاق يـــذوق

سر في حمّى الشّيخ الزرّوق وصايتي نفسك أعصـــيها

قم يا طير ادخل برقـــه تحزّم بحزامك لا شفقـــة

دا الوطن تعبه بلا شقّـــه احد ما يقدر يخفيـــــها

كيف يا طير يكون مشـيك في الوعر بالعطش من يسقيك

لا رفيق معك يلهـــيك ولا نجوع تتسلا بـــــها

بات ساير واصبـــح غوّار في الفيافي واوطـــان قفار

ادخل مصر وفيها اختـــار في الحسنين دار اكريـــها

انزل مجاور يا صـــاح عندهم تتهنّى ترتـــاح

زرهم كل مسا وصبـــاح والمجالس لا تخطيـــها

راه مير الرّكب معـــوّل شاوش الكسوة والمحـــمل

انطلق البارح وطبّـــل سمعته النّاس بوذنيـــها

سمعت الحجّاج وقامـــت لمّت اشغالها واتّفقـــت

مالت لمكة ما صبـــرت طارت جوار حهاليـــها

شاوش المحمل والكســوة تابعينه رجال ونســـواة

ما بقات الدّنيا تســـوى عند ناسي ما تهـــواها

اخرج من البيبان سريــح
مع العربان امش كالرّيــح

شف بعينك الأركاب مليــح
مصرى انزل وبات عليــها

قم قبل دليل الفقـــرآ
وانزل على الدار الحمــرا

ما ترى في الطريق غوارا
ولا حجاب قاوي كاسيــها

يا ظريف رفرف لعجرود
تم زيد للقبر المسعــود

يبلّغ القاصد المقصـــود
جميع من هو قاصد ليـها

ديار العقبة ليهـــا روح
بالدليل والقلب المشـروح

بالك بما في سرّ تبــوع
اكتم اسرارك واكميــها

قم يا طير وارحل تحـلال
بعد العقبة انزل غلــغال

بعد ما تقضي كل اشغـال
في الصباح رفرف خلّيـها

سر من قبل الحر وقــوم
اطعن البدآ سر تهــوم

للحدورة يا غالي السّــوم
امنين ما جاتك ساميــها

من مغارة شعبها واوطـان
لازم تروّح وتصبح نشطان

زيد بعد بيار السلطـــان
منزل الكورة خاويـــها

ما عرفت آش بقى يرجـاك
فرقاك كورة محنة واهلاك

بعد واد النّار اوصينـــاك
كل دار معلومة فيـــها

قم يا طير ارحل واعــزم
أوعد الرّابع فيها احــرم

جرّد اثيابك واتـــــقدّم
اقصد الوقفة وانويـــها

بات يا طير مع الجمـــهور
في زهو وافراوح وسرور

ننسقى من كيسان خمـــور
فرجتك يبليني بهـــا

بعد الفدى انزل بركـــا
من التّعب تريح الحركـة

ادخل من الواد لمكّـــة
باشر البيت وقابلـــها

طف يا طيري سبع طـواف
بالقدم وتبع الأشـــراف

انتبه يا كامل الأوصـــاف
للحجر واستمسك بـــها

قم يا طير الوعد أوفــى
طر وانزل جبل عرفـــة

اغتنم مع النّاس الوقفــة
حاجتك تـــم توفيـــها

قم يا طير ارحل لمنــى
بعد الطّواف بلا منّـــة

الإفاضة فرض علينـا زيد للعمرى اختـم بهـا

بالك اتهلا كن لبيـب تفكّر الشّيخ من المغـيب

راها بانت لك يثـرب في الفيافي عمّد ليـهـا

ادخل على الباب تنـادي اقصد أحمد سيد سيـادي

بعد الزّورة يا مـرادي البتول ما تنسـاهـا

قل بسم الله وتقـدّم على أحمد صلّي وسلّـم

اغنم الزّورة واتنّعـم فيه بالعين وزهّيـهـا

قل له يا طيّب الأنفـاس جيت مرسول ندّي القرطاس

في الحشر تنده بك النّـاس اويّاك تقول أنـا ليهـا

طابعك بغيته ندّيـه لا بن مسايب يتبـارك به

يمسكه عنده ويخبّيـه لنهار المـوت وهو ليهـا

يا ظريف ارجع لي عجلان تتباشر بك أهل تلمسـان

للقاك تركب الفرسـان يا الله أحـض مواليـه

يا الورشـان

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر

1- القرآن الكريم

2- ديوان ابن مسايب، جمع وتحقيق محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ابن خلدون للنشر والتوزيع، تلمسان، 2001.

ب- المراجع:

1- إبراهيم خليل في النقد والنقد الألسني، دار الكندري للنشر والتوزيع، عمان، 2002م.

2- إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2003م.

3- ابن بطوطة محمد بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار، تقديم محمد سويدي، موفم للنشر، الجزائر، 1989م، ج1.

4- ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، تقديم كرم البستاني، صدر عن وزارة الثقافة الجزائر، عاصمة الثقافة العربية، 2007م.

5- أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، تحقيق علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، لبنان، ط3، 2007.

6- أحمد سعيد محمدية، الطيب صالح عبقري، الرواية العربية، دار العودة للنشر، بيروت، ط1.

7- أحمد قنشوبة، الشعر الغض، اقترابات من عالم الشعر الشعبي، منشورات الرابطة الوطنية للأدب الشعبي، الجزائر.

8- إخلاص فخري عمارة، الشعر الجاهلي بين القبلية والذاتية، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2001م.

9- الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

10- حسين حسني محمود، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، لبنان، ط2، 1989م.

11- دانييل هنري باجو، الأدب العام والمقارن، ترجمة غسان السيد، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997م.

12- ديوان بشار بن برد، قراءة وتقديم إحسان عباس، دار الصادر للنشر، لبنان، ط2، 2006م.

13- ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتقديم علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2003م.

14- صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 2009م.

15- عبد الرضا علي، موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه، دراسة وتطبيق في شعر الشطرين والشعر الحر، دار الشرق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1997م.

16- عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 2004م.

17- عبد اللطيف شريفي، محاضرات في موسيقى الشعر العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998م.

18- عبد المجيد جيدة، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل، بيروت، ط1، 1980م.

19- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 2002م.

20- فريد تابتي، شعرية القصيدة الجزائرية بعد 1980، رسالة ماجستير 1996م/1997م.

21- محمد زغلول سلام، مدخل إلى الشعر الجاهلي، دراسة في البيئة والشعر، منشأة المعارف للنشر، الإسكندرية، د.ط، د.س.

22- مصطفى حركات، الهادي إلى أوزان الشعر الشعبي، دار الأفاق للنشر والتوزيع.

23- منير سلطان، التضمين والتناص وصف رسالة الغفران للعالم الآخر أنموذجا، شاه لمعارف للنشر، مصر 2004م.

24- نوال عبد الرحمن شوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، المأمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008م.

25- نور الدين السد، الشعرية العربية، دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

26- يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان، مجد اللاوي للطباعة والنشر، عمان، ط1، 2008م.

27- يوسف حسين بكار، اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، دار الأندلس للطباعة والنشر، لبنان، ط2، 1981م.

المجلات:

1 - Revue Africaine, Alescandre Joly, N°44 , année 1900, opu, Office des publication universitaire, Alger.

الفهـرس

- مقدمة: ..... أ-ب
- تمهيد 04

الفصل الأول: الرحلة في الشعر العربي الفصيح

1- الرحلة كامتداد للمقدمة الطللية 11
أ- من الأطلال إلى وصف الضعائن في الجاهلية 11
نموذج من وصف الضعائن في الجاهلية 13
ب- الرحلة كمغامرة شاقة – رحلة الصعاليك- 14
2- استقلال غرض الرحلة وانفصاله عن عمود الشعر التقليدي 16
أ- رحلات الحج 16
ب- السفر البعيد والمغامرة 18
ج- الهجرة 18
3- الرحلات الخيالية 20
أ- الرحلة إلى العالم الآخر (الجنة والنار) رسالة الغفران أنموذجا 20
ب- الرحلة الحلم 22
ج- إرسال الطير (الحمام) لأداء رحلة بدلا عن الشاعر 24

الفصل الثاني: الرحلة في الشعر الشعبي

أ- الرحلة البدوية (القطاعة) 27
ب- الرحلة الخيالية: رحلة شوق إلى البقاع المقدسة – ابن مسايب أنموذجا 32

- شرح قصيدة يا الورشان 32
- دراسة القصيدة 34
1- المستوى الدلالي..... 34
2- المستوى التركيبي..... 36
3- الصورة الشعرية 38
4- المستوى الإيقاعي..... 42
خاتمة 49
ملحق..... 52
قائمة المصادر والمراجع..... 59
الفهرس 62